المفكر العربي حلمي شعراوي

الهدف AL HADAF

سياسية عربية
كل الحقيقة للجماهير

مأزق المفاوضات والمسارات والمبادرات

فأر «السلام» ومتاهة الأمن الاسرائيلي





Al - HADAF - No. 1278 - 29/3/1998

اقوال في أعمال الفنان الحروفي

منير الشعراني

يقول الناقد المصري حسن سليمان، عن منير الشعراني: (...) ومع النظرة العميقة لأعمال منير الشعراني نكتشف قلقاً وهو سمة كل فنان ولكنه ليس بالقلق المرتبط بالذات الصوفية، وذلك القلق الناشئ عن المسافة الطويلة التي تربط بين الذات الفردية للصوفي العابد، والذات الإلهية للمعبود المطلق، ويعبّر عنها بوضوح في صراع المدّات الطويلة ضدّ الخطوط الأفقية. ومع تضاد الإنحناءة القلقة ينحو التأمّل الصوفي القلق إلى إقامة شيء ملموس يعبّر عن علاقة الحقّ والخلق، وهذا ما نأمله من الشعراني، هذا الفنان الكامل تشكيلياً. إنه يدرك وجوده، لذلك هو يدرك وحدته، لكنه يخشى وحدته هذه لأنه يخشى معها الضياع. لذلك فخطوطه تعبر عن التناقض بين واقعه وما يتمناه بخطوطه المتراصّة والمتصارعة في توازن مدهش، إنه توازن نعجب به إلا أنه لايذهب بنا إلى الضياع معه في وجد صوفي.

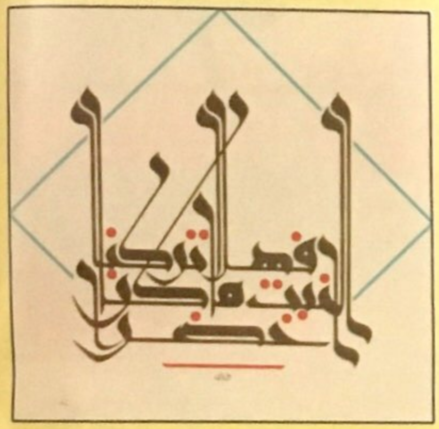
ويقول عنه الباحث والتشكيلي التونسي حسين بيكار: (...) ويقف الفنان «منير الشعراني» على رأس جمهرة الفنانين التشكيليين محدداً شخصيته التي انفرد بها عن بقية زملائه، سواء المصورين أو المزخرفين، المحترفين أو الخطاطين التقليديين، بينما يقف فوق قاعدة راسخة من الأصول الكلاسيكية التي اكتسبها من دراسته الأكاديمية، يقف على نفس المستوى من دراسة بالغة العمق والجدية لأصول وقواعد الخط العربي وروحه، تلقاها من كبار أساتذة الخط في الشرق العربي. ثم بعد أن تمكن من السيطرة الكاملة على ادواته راح يعلن عن رسالة بالغة الخطورة في عصر التحديات، وهي إحياء فن أصيل تكاد تخنقه جحافل التيارات الزاحفة، وإيجاد اسلوب تعبيري ولغة تشكيلية لها من الإمكانات ما يؤهلها للمنافسة وإثبات الذات دون التمسح في شعارات رنانة لاتلبث أن تبتلعها الرياح، فلانستيطع أن نقول إنه خطاط تقليدي مائة في المائة، أو نقول إنه فنان تشكيلي مائة في المائة وإنما نقول إنه صائغ بارع وفنان جامع لمقومات التشكيل، استطاع أن يجندها لتحقيق هدف طموح دون أن يخلع عنه جلده العربي أو يخمد نبضه الذي يتردد تحت الضلوع العربية منذ عشرات القرون.

ويقول عنه الفنان يوسف عبدلكي: من حسن الحظ أن منير الشعراني يقف خارج الإتجاه الحروفي، في التجربة التشكيلية العربية، كما أنه يقف خارج كوكبة الخطاطين، الذين يجودون الخطوط التقليدية ويكررونها، فمن يتابع عمله يدرك أن بحثه يتركز على تقديم قطعة خط عربية جديدة، تستجيب للمتطلبات الجمالية الحديثة، ولاتقطع الصلة مع إرثنا الخطي، فهي تعتبر نفسها امتداداً عصرياً لإضاءات الماضي، وربما تكون دراسة الشعراني الجامعية هي التي حرضته للخروج من دائرة التكرار المغلقة، فخلال الأعوام الخمسة التي قضاها في كلية الفنون الجميلة بدمشق بين أوائل السبعينات، وضع يده على كيفية تنظيم مساحةٍ بيضاء غرافيكياً، سواء أكان المطلوب حرفاً عربياً، أو تصميماً لغلاف علبة كونسروة، أو ملصقاً سياسياً.

إن الشعراني يريد للخط أن يتحول إلى قطعة فنية حديثة، لذلك لايريد لها أن تظل حبيسة قدسياتها القديمة، وهو لهذا السبب لايستخدم جملاً تواكلية محطوطة تعود إلى عهود الكسل والإنحطاط، بل يختار عبارات تمس حياة البشر، وتحرض طاقاتهم وخيالهم، ولافرق هنا إن تناول بيتاً لشاعر من القرن العشرين، أو عبارة لعلامة من القرن الحادي عشر. طالما أنهما يؤديان ذات الغرض. وإمعاناً في كسر هالة القداسة التقليدية، يلجأ إلى ألوان من مختلف الدرجات، الحارة والباردة، لتأكيد خروجه عن طوق الأقدمين الذين ما مارسوا الخط إلا بالأبيض والأسود، بما فيهما من ثقل واتزان صوفي.



سقط الكلام انتهاك



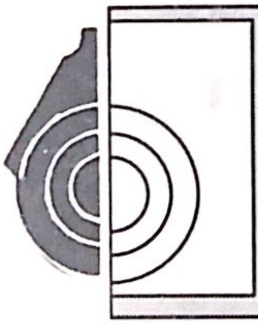
فهلا تركنا النبت ما كان أخضر



إني باللثام لشقي



في النبر ما لايقال



يوم الأرض

وحدة الشعب والأرض والمصير

في الثلاثين من آذار كل عام يحتفل الشعب الفلسطيني في مناطق الـ ٤٨، والضفة والقطاع والقدس، والمهاجر والشتات، بذكرى مجيدة حافلة بالمعاني والدلالات والدروس، ذكرى يوم الأرض.

يحتفل شعبنا هذا العام بالذكرى الثانية والعشرين لهذا اليوم الوطني الخالد، والذي أعلنت فيه جماهير شعب فلسطين في مدن وقرى الجليل والمثلث وعلى امتداد الأرض الفلسطينية تمسكها الأزلي جيلاً بعد جيل بكل حبة من تراب الوطن.

كانت الشرارة الأولى التي أشعلت التحرك الجماهيري العارم في عموم الوطن إعلان سلطات الإحتلال مصادرة ٢١ ألف دونم من أراضي ١٢ قرية عربية في الجليل ضمن خطة اسمتها «مشروع تطوير الجليل» وإثر ذلك تشكلت لجنة الدفاع عن الأراضي العربية، التي دعت إلى عقد اجتماع شعبي في مدينة الناصرة حضره سبعون مندوباً من مختلف المناطق، تقرر في ضوئه المطالبة بإعادة كل الأراضي المصادرة، والقيام بعدد من النشاطات والفاعليات الإحتجاجية وإعلان الإضراب العام.

وفي يوم الثلاثين من آذار ١٩٧٦، كانت الهبة الجماهيرية قد عمت مدن وقرى الجليل والمثلث، وعلى الفور شاركتها مدن وقرى ومخيمات الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، وتصاعدت الصدامات في دير حنا وسخنين وعرابة وأم الفحم، سقط على اثرها ستة من الشهداء وحوالي سبعين جريحاً، إضافة إلى زج سلطات الإحتلال بالمئات من المعتقلين في السجون.

وقد امتدت التحركات والنشاطات إلى الخارج فقامت المظاهرات والإعتصامات في مناطق اللجوء والشتات في مختلف أماكن تجمعات الشعب الفلسطيني.

إن ذكرى يوم الأرض، زاخرة بالمعاني والدلالات والدروس لأن هبة الشعب الفلسطيني في مختلف أماكن تواجده، لإعلان تمسكه بكل ذرة من ترابه، وعلى امتداد أرض الوطن في الناصرة وحيفا وعكا والقدس وغزة ورام الله، وفي مواقع اللجوء والشتات من عين الحلوة وبرج البراجنة إلى اليرموك والوحدات والبقعة. تؤكد الوحدة العضوية للحركة الوطنية الفلسطينية ولأبناء الشعب الفلسطيني من كل أصقاع الأرض. هذه الوحدة التي يراد اليوم بعثرتها وتقسيمها لتحويل شعب فلسطين وأداته الكفاحية إلى شظايا ومجموعات سكانية متناثرة هنا وهناك. وهذا هو الخطر الحقيقي والهدف الحقيقي الذي أرادته إسرائيل من جوهر اتفاقيات أوسلو التي هددت ولازالت تهدد بصورة جدية وحدة الشعب الفلسطيني ووحدة كفاحه ومصيره ومستقبله، حيث تجاهلت هذه الإتفاقيات مصير أكثر من أربعة ملايين لاجئ يعيشون في مخيمات الشتات وفتحت الباب على مصراعيه أمام مخططات التهجير والتوطين وتبديد حق العودة الذي صانته قرارات الشرعية الدولية، كما ساهمت هذه الإتفاقيات في توسيع الباب أمام مخططات الأسرلة والتذويب لجماهير الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨.

لقد أكد يوم الأرض ليس وحدة الشعب الفلسطيني فحسب، بل وحدة الأرض والهوية والمصير، وهي المعاني والثوابت التي أرادت اسرائيل نسفها وتمزيقها من خلال اتفاقات أوسلو، حيث نجحت في تفتيت منظمة التحرير الفلسطينية وشل فاعليتها وإدخال الشعب الفسطيني وقضيته في نفق مظلم ومأزق سياسي كبير.

لاشك أن الذكرى الثانية والعشرين ليوم الأرض، تأتي في ظل ظروف بالغة القسوة والتعقيد يواجهها الشعب الفلسطيني والأمة العربية، فالأرض التي هب للدفاع عنها يراها تتآكل يوماً بعد يوم جراء سياسة الإستيطان والتهويد التي امتدت لتلتهم أراضي الضفة الغربية والقدس وقطاع غزة وفق سياسة إسرائيلية منهجية مدروسة تستهدف الإستيلاء على كامل الأرض الفلسطينية خطوة خطوة وقفزة وراء قفزة. بذات الوقت الذي يمارس فيه حكام تل أبيب أوسع عمليات التضليل والخداع حول ما يسمى بعملية السلام والمفاوضات وإعادة الإنتشار.

ورغم ذلك كله، فإن سلطة الحكم الإداري الذاتي لازالت تراهن على ضغوط الولايات المتحدة الأمريكية وكرم إسرائيل لعلها تقدم بعض الفتات للذين تورطوا بسياسة الخضوع والتنازلات.

إن الوفاء لمعاني ودلالات يوم الارض يستوجب إعادة النظر بصورة شاملة بكل الأوهام والرهانات الخاسرة والخط السياسي الذي أوقع أفدح الأضرار بالقضية الفلسطينية والعربية وخلق مناخاً كاذباً ساهم في تمكين إسرائيل من الإستيلاء على المزيد من الارض الفلسطينية تحت ستار المفاوضات واللقاءات والمحادثات والسلام المزيف الذي لم يكن هدفه سوى تحقيق المزيد من القفزات للمشروع الصهيوني في الإستيطان والتهويد والتوسع.

تترافق ذكرى يوم الأرض مع الذكرى الثلاثين لمعركة الكرامة التي شكلت نقطة تحول في تاريخ ومسار الثورة الفلسطينية المعاصرة، والتي أكدت ولازالت أن طريق الكفاح وتعديل موازين القوى هما الطريق الأساسي لإنتزاع الحقوق الوطنية وليس طريق التفريط والخضوع.

AL-HADAF
الهدف

«الهدف» ٢٩ اذار ١٩٩٨ - العدد ١٢٧٨
السنة الثامنة والعشرون - الثمن ٢٠ ل.س/ ١٠٠٠ ل.ل
AL - HADAF - No. 1278 - 29/3/1998

سياسية عربية ـ تصدر مؤقتاً كل أسبوعين



ثمن النسخة

لبنان ١٠٠٠ل.ل/ سوريا ٢٠ل.س/ الاردن ٥٠٠ فلسا/ العراق ١٠ د.ع/ الإمارات ١٠ درهما/ الجزائر ١٠دينارا/ ليبيا دينار واحد/ تونس ١.٢٥ د.ت/ صنعاء ١٥ ريالا/ السودان ٦ جنيها/ المغرب ١١ درهما/ أمريكا وكندا ٣ دولار/ ألمانيا ٥ ماركات/ اسبانيا ٣٠٠ بيزيته.

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي بما فيها اجور البريد
سوريا ٦٠٠ ل.س/ لبنان والأردن ٣٠ دولارا/ بقية الدول العربية ٥٠ دولارا/ اوروبا ١٢٥ دولارا/ أسيا وافريقيا ١٠٠ دولارا/ الامريكتين. واستراليا ١٥٠ دولارا

☆ يتم الاشتراك بإرسال اشعار الإيداع بقيمة الاشتراك السنوي (او نصف السنوي) على العنوان التالي: بنك بيروت والبلاد العربية
شتورا ـ لبنان
رقم الحساب AC NO.220094

☆ او بإرسال شيك بنكي باسم «الهدف» دمشق/ ص ب ٣٠١٩٢

المكاتب

المقر الرئيسي: دمشق ـ مخيم اليرموك
هاتف: ٦٣٢٨٢٦٧
٦٣١٩٣٧٤
فاكس: ٦٣٢٥٤٨٦
٣٣٢٩٣٢٦
ص.ب: دمشق ـ ٣٠١٩٢
عمان: ٦٩٦٣٤٠
الجزائر: ٥٩٤٥٤٨
٣٨٤٣٠٤
بغداد: ٧١٩١٦٢٢
٧١٧٤٧١٠

كلمة

آذار شهر مثقل بذكرياته.. من يوم المرأة العالمي وعيد الأم ويوم الشهيد عند الجبهة الشعبية ويوم المعلم العربي وذكرى معركة الكرامة والإجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان وغيرها وغيرها... وصولاً إلى الثلاثين منه حيث يوم الأرض الفلسطينية.

لكن لايفصل آذار عن ايار إلا نيسان!!

نقول هذا لأن كل هذه المناسبات بشكل أو بأخر في هذا العام بالذات تكتسب معنى خاصاً أو هكذا يجب أن تكون الأمور... ففي منتصف أيار القادم سنقف أمام مرور نصف قرن على النكبة الرهيبة التي ضربت شعبنا وعصفت به ومازالت آثارها وانعكاساتها تتابع على كل الأمة من محيطها إلى خليجها...

خمسون عاماً في عمر فرد واحد هي حياة كاملة.... وفي تاريخ شعب هي جيل أو جيلان وربما ثلاثة... وهذا يعني أن ثلاثة أجيال فلسطينية عاشت ومازالت في ظل مسيرة البطولة والكارثة التي افتتحها العام ١٩٤٨...

هل من المبكر الحديث منذ الآن عن ذكرى ١٥ آيار؟ نقول جازمين لا... ومنذ الآن وحتى ذلك الحين نستطيع أن نفعل الكثير الذي لايعكس فقط قوة ذاكرتنا ورفضنا لنسيان أرضنا، بل ورفضنا العميق للآخر ومشاريعه وتشبثنا بحقوقنا كلها... كلها بدون أي انتقاص...



موضوع الغلاف:

فار «السلام»
ومتاهة الأمن الاسرائيلي

صفحة ٦

في هذا العدد

شؤون فلسطينية

شؤون العدو

شؤون عربية

شؤون دولية

الهدف الثقافي

- نضال ابراهيم -

الفاتيكان يعتذر، شارون يعتذر:
شِـــه، في فـــرق!

شِهْ، فجاة نكتشف، نعم هكذا كسحابة ممطرة في صيف قائظ، أن أريل شارون رجل وقح، فهو لايرعى حرمة أو اتفاقاً أو حتى تحالفاً.

فالمذكور يهددنا في عقر دارنا جهاراً نهاراً.

وهكذا دائماً، فجاة نكتشف غير أن المشكلة أننا نكتشف دائماً ما هو مُكتشف. اكتشف مثلاً أن لي رأساً، فاتفاجأ، لأنني كنت أعتقد أنه حذاء. وأكتشف فجاة أنني أمشي على قدمين وليس على أربع، رغم أن أسلافي انتصبت قاماتهم وهبطوا عن قمم الأشجار منذ ٢٠٠ ألف سنة. وهكذا تتوالى اكتشافاتنا وكلها مذهلة، فقد اكتشفت مؤخراً أنني كنعاني، وجاري على بعد جمرة نارة اكتشف أنه نبطي، وجاري في الشمال على مرمى صوت اكتشف أنه فينيقي، وابن عمي النوبي على ضفاف النيل اكتشف أنه فرعوني، وذاك سومري.. وابن أخي اكتشف أنه عنزي (نسبة إلى قبيلة عنزة)... وراح كل منا يشمخ بأنفه ويعتبر ذاته الأفضل وكشّرنا وقلبنا سحنتنا ورحنا نتشاتم. والطريف أن معظم شيوخ قبائلنا اكتشفوا أن بني اسرائيل منا وفينا، فاستحقوا الإحترام أكثر من بني قيس وبني عدنان. هكذا جاء اكتشافنا لوقاحة شارون.

فمتى يا إلهي نكتشف أن شارون كان دائماً من غلاة الصهاينة ومهندس مجزرة صبرا وشاتيلا، وهو بلحمه وعظامه وزير البنى التحتية في حكومة إسرائيل، ولديه مخططات وخرائط لشق الشوارع على وجوهنا وأجسادنا وأرضنا؟

متى نكتشف أن نتنياهو، ليس إلا رئيس وزراء دولة إسرائيل، نعم إسرائيل بعينها عدوّنا اللدود، وأكثر دولة إرهابية وعنصرية في العصر الحاضر؟ متى نكتشف أن كل رئيس وزراء أو وزير في إسرائيل من الأحياء أو الأموات ما كان له أن يصل لمنصبه إلا لأنه صال علينا صولة أو صولتين. وكلما كان أكثر شراسة وضراوة كان أكثر حظوة؟

ومتى نكتشف أن إسرائيل (ما غيرها) تملك أكثر من ٢٠٠ رأس نووي عدا الكيماوي والجرثومي. وهي بالتأكيد ليست موجهة ضد قبائل التيبت في الصين أو رعاة الرنّة في ألاسكا أو لحماية مزارع الشاي في سيريلانكا.

متى نكتشف أن....

مهلاً، مهلاً، أليس من الأفضل أن نصل متاخرين خير من أن لانصل أبداً؟ قول مأثور بقدر ما هو معقول، لكن المعضلة أننا ننسى ما اكتشفناه قبل خمس دقائق، لنعيد اكتشافه «فجاة» بعد دقيقتين، ونفرك أيدينا ونهرش رؤوسنا جذلاً. ماعلينا، المهم أن شارون اعتذر أو هكذا قيل.

هذا ما يقلقني، وليس وقاحة شارون أو نتنياهو، ما يقلق فعلاً هو أن العلاقات مع إسرائيل أصبحت محكومة بمنطق الإعتذارات التي لاتحمي أرضاً ولا تسترد حقوقاً، فتذهب ريحها كما ذهبت ريح غرناطة التي كانت بحاجة لوهج السيوف وليس لحرارة الدموع.

إسرائيل تهين أمة بكاملها منذ خمسة عقود ونيف، ولاتزال تزرع فلسطين بالمستوطنات وصدور الفلسطينيين واللبنانيين بالرصاص ولا أحد يطالبها بالإعتذار وتستمر المفاوضات واللغو عن «العيش المشترك» و «السلام» و «حسن الجوار» و «جسور الثقة» واقتسام المياه والنفط والحل والربط. الإعتذار عند اسرائيل يعني سياسة، أما عندنا فله مفهوم شخصي أناني أتفه من رِجْل بعوضة.

قبل أيام أعلن الفاتيكان اعتذاراً تاريخياً لليهود عن مسؤولية الكنيسة الكاثوليكية في «الهولوكوست» أو المحرقة.

لم تعجب هذه الخطوة إسرائيل لأنها غير كافية، والمسألة بالنسبة إليها لاتقف عند حدود المسؤولية الأخلاقية والإنسانية، فالمحرقة وظيفتها تبرير ما ترتكبه إسرائيل من محرقة ضد الشعب الفلسطيني منذ أكثر من خمسين عاماً. والإعتذارات التي تقدم لإسرائيل بإسم اليهود لاتعني حبة خردل إذا لم تتحول إلى مليارات الماركات والدولارات وآلاف المهاجرين الصهاينة والمصانع، والطائرات والآتي أعظم. وخوفي أن يكون اعتذار الفاتيكان خطوة للإعتراف بإسم الكنيسة الكاثوليكية بأن القدس عاصمة الدولة العبرية، فالحديث يجري عن مصالحة تاريخية مع اليهود الذين يجري إختزالهم في إسرائيل. والمرحلة مرحلة مصالحات وكلّها تاريخية للأسف مع أن لاأساس لها في التاريخ...

الفاتيكان يعتذر وبعضنا يعتذر إنها حمى الإعتذارات لصالح إسرائيل تجتاح العالم كالحمى المالطية.

وإسرائيل لسان حالها يقول: على الجميع أن يعتذر، من ارتكب ذنباً ومن لم يرتكب، وماذا في ذلك فهناك اعتذارات يجب أن تقدم سلفاً، أما الفلسطينيون والعرب فسنواصل قتلهم بالجملة والمفرق، ولا بأس عند كل مجزرة لو غمغم أحدنا ببعض الكلمات غير المفهومة.

خلاصة القول: أن شارون يجب أن يكون وقحاً ونتنياهو أكثر وقاحة، وإلاّ لن تستقيم المعادلات.

ومن الطبيعي أن تواصل إسرائيل حشد قوتها وحقدها وعنصريتها، وأن تسرق ما تصل إليه أيديها وطموحاتها، وعكس ذلك هو عكس علم السياسة وعلم التياسة في آن.

مأزق المفاوضات والمسارات والمبادرات:

إلى الشمال من مدينة بيت لحم يتواصل هدير الجرافات الإسرائيلية في جبل أبو غنيم، فنتنياهو قطع على نفسه وعداً بأن تكون مستوطنة «هار حوما» جاهزة خلال عامين. وقبل أيام استقبل المستوطنون والوزراء الصهاينة «روبن كوك» وموراتينوس بالشتائم مع خسارة غداء رسميّ بسبب زيارته التي لم تتجاوز العشر دقائق للجبل المذكور... وقبل ذلك أوضح نتنياهو في جولته الأوروبية رفضه الحازم لأي مبادرة أوروبية قد تتجاوز السقف الإسرائيلي، مع أنه مع تحرك أوروبي لتحريك عملية السلام. وهكذا تستمر الرقصة على أنغام «السامبا» والعملية السلمية، والمصالح المشتركة والتعايش والمصالحات التاريخية. أما الجرافات فتواصل العمل كما يتواصل سقوط الشهداء الفلسطينيين، ومع ذلك يقولون بأن نتنياهو لايعمل من أجل السلام؟!

فأر «السلام» ومتاهة الأمن الإسرائيلي

نصار ابراهيم

فرضية

ما يجري منذ مؤتمر مدريد وحتى اليوم هو أكثر من طبيعي لأنه أكثر تعبيراً عن حقيقة موازين القوى والمشاريع التي يجري تسويقها في المنطقة باسم السلام. أما غير الطبيعي فهي أوهام البعض من فلسطينيين وعرب بإمكانية تحقيق سلام عادل وشامل وكامل الأوصاف مع إسرائيل ومن خلفها أمريكا التي تواصل الإدعاء بأنها شريك نزيه أحياناً، أو وسيط لا أكثر في أحيان أخرى مع أنها في الواقع وفي الممارسة تتصرف كحليف نزيه تماماً لإسرائيل.

كم يتمنى المرء لو أن الخلل المشار إليه يعود فقط لبعض الأوهام لأن ذلك يتيح المجال لإعادة المراجعة وتصحيح الرهانات والخيارات ما إن تتبدد تلك الأوهام. الأخطر من الأوهام أن تكون خيارات من وقع الإتفاقات مع إسرائيل هي في الواقع سياسة واعية ومضبوطة تقوم على التسليم بالفهم الإسرائيلي للسلام، واعتبار ما تحققه إسرائيل من مكاسب جزءاً حيوياً من عملية ضبط التناقضات في المنطقة عموماً وفي داخل كل بلد عربي.

لنتفحص هذه الفرضية ونخضعها للنقاش، فربما نكون قد ذهبنا في قراءتنا إلى حد المبالغة الضارّة وطنياً وقومياً.

معايير النقاش متعددة، لكن أهمها يتكثف في النتائج التي أفرزتها عمليات التفاوض منذ مؤتمر مدريد وعلى مختلف المسارات بما في ذلك متعددة الأطراف. يضاف لذلك حقيقة الأهداف الإسرائيلية، والأمريكية وضوابط سياساتهما في المنطقة.

مسارات

منذ مدريد وحتى اليوم جرى توقيع اتفاقات أوسلو وتوابعها على الصعيد الفلسطيني، واتفاق وادي عربة على الصعيد الأردني، وتجميد المفاوضات على المسار السوري ـ اللبناني.

لايحتاج الإنسان لكبير عناء ليدرك أن اتفاقات أوسلو ونتائجها وآفاقها قد وصلت إلى الجدار المسدود، وحتى رعاتها باتوا ينظرون إليها كجثة متفسخة، أما نتنياهو فلايوفر مناسبة لتخطيها والتهام كامل الكعكة الفلسطينية.

اتفاق وادي عربة ونتائجه ليسا أفضل حالاً، فقد تبخرت الرهانات وسقطت الأحلام الوردية بازدهار إقتصادي وفعالية اقليمية ومكانة متميزة.

أما المسار السوري ـ اللبناني، فقد بقي يقاوم ويعاند بصلابة تثير الإعجاب، الأمر الذي كشف هزالة ما تحقق على الجبهتين الفلسطينية والأردنية من جانب، وفرمل اندفاعة المشروع الأمريكي ـ الإسرائيلي في المنطقة من جانب ثان، وكشف بصورة أعمق طبيعة التسوية التي تريدها إسرائيل وحليفتها من جانب ثالث.

لهذا اتجهت السياسة الإسرائيلية ـ الأمريكية نحو هدف يتمثل بضرورة تكسير صمود تلك الجبهة، التي أجادت التفاوض وأجادت الدفاع، وأجادت التكتيك، لحماية أهدافها الإستراتيجية المتناقضة تماماً مع أهداف الحلف المعادي.

هذا ما يفسر لنا أحد الأهداف الاساسية للحلف الإسرائيلي ـ الأمريكي ـ التركي، ويفسر لنا أيضاً قرع أمريكا لطبول الحرب ضد العراق، بهدف استنزاف الطاقات وتشتيت محاولات التنسيق العربي ـ العربي، وحرف الصراع عن محاور حركته الطبيعية، وإبقاء الجميع تحت وطأة الضغط الأمريكي ـ الإسرائيلي، وبالتالي تبديد أية رهانات على صياغة رؤية عربية موحدة، وإبقاء الدور الأوروبي، الذي يجاهد لكسر طوق الحصار الأمريكي ـ الإسرائيلي، نحو دور أكثر نشاطية، وأكثر تعبيراً عن وزن أوروبا السياسي والإقتصادي ضمن دوائر الإسناد للدور الأمريكي لا أكثر يضاف لهذا الاستمرار بتحذير روسيا لتقنع بوظيفة شاهد الزور.

في سياق هذا الهجوم الشامل تاتي المحاولات الإسرائيلية لخلخلة وحدة المسار السوري ـ اللبناني التي نشهد تزخيماً لها تحت عنوان استعداد اسرائيل لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٤٢٥.

قوّة... تطرّف

إذن لقد باتت أكثر من واضحة معالم وأهداف الرؤية الأمريكية ـ الإسرائيلية، الأمر الذي يفقد كل حديث عن عملية سلمية أي مضمون حقيقي، ويهبط به إلى مجرد لغو، بينما مئات الوقائع تشير إلى مشروع أمريكي ـ إسرائيلي لايتخطى مفهوم الإستسلام والرضوخ.

بهذا المعنى يخطئ تماماً من يعتقد أن مجيء

نتنياهو للسلطة في إسرائيل كان مجرد صدفة سيئة، وأن تعثر عملية السلام يعود إلى فجاجة الذكور وغطرسته.

في حقيقة الأمر إن نتنياهو هو المحصلة الطبيعية لحالة الحراك الإقتصادي والسياسي والفكري والإجتماعي داخل إسرائيل. نقصد بما تقدم أن وصول نتنياهو للسلطة هو تتويج لحالة الحراك نحو التطرف واليمين في إسرائيل، تلك العملية التي نضجت وتبلورت في أواسط السبعينات وتسارعت أكثر في عقد الثمانينات، والتي لم تقتصر على الليكود، بل شملت أيضاً حزب العمل الذي دفع إلى الزعامة بصقوره بدءاً من رابين وصولاً إلى باراك الذي أزاح من طريقه شمعون بيرس المخضرم.

هذه العملية التاريخية في إسرائيل هي تعبير عن تنامي قوتها الإقتصادية، حيث تجاوز الناتج القومي الإجمالي ٩٠ مليار دولار، بكل ما يحمله هذا الرقم المذهل من مدلولات اقتصادية في الصناعة والزراعة، وكثافة استخدام العلم وكثافة استخدام الموارد وقوّة العمل، واستخدام الطاقة وتركيز وتركز الرأسمال....

يضاف لذلك تكديس الأسلحة النووية والكيماوية والجرثومية. وتلاحم أمريكا - وإسرائيل في الإستراتيجيا الأمر الذي أسقط بصورة مهينة رهانات أولئك السذج الذين اعتبروا سقوط الإتحاد السوفيتي وحرب الخليج الثانية أساساً لهز مكانة إسرائيل في الإستراتيجية الأمريكية.

من الطبيعي أن تجد هذه الحقائق ترجماتها في السياسة والأهداف. هكذا تحركت إسرائيل من هدف الحفاظ على الذات الذي حكم مراحل التأسيس، إلى أهداف نوعية كبرى بكل معنى الكلمة. فتركيم القوّة الإقتصادية والعلمية، والعسكرية المحكوم بعقيدة/ ايديولوجيا امبريالية عنصرية عدوانية، بالتأكيد سيترجم على شكل سياسة بالمزيد من الطموحات والهيمنة والنهب الشامل لثروات المنطقة. الأمر الذي كشفه بيرس في مشروعه «نحو شرق أوسط جديد».

وكي تبقى هذه المعادلة فاعلة إذن من المنطقي أن يستمر التعزيز المتواصل للإختلال في موازين القوى، عبر تركيم المزيد من مقومات القوة، هذا من جانب، ومن جانب آخر ضرورة إبقاء الطرف النقيض باستمرار تحت سيف التهديد والتدمير.

إذن نتنياهو لايقوم بأكثر من ترجمة مضمون مشروع بيرس نحو شرق أوسط جديد، ولكن بخط مستقيم، وبالتالي فهو الوجه الآخر لبيرس.

في ضوء ما تقدم يتضح لنا ولكل ذي بصيرة كيف تواصل إسرائيل وبدعم أمريكي واع سحق أي مفهوم حقيقي للسلام القائم على العدل والتكافؤ والإحترام، وتغدو مسألة الأمن الإسرائيلي بالمعنى الشامل أهم من كل العرب الذين عليهم أن يدافعوا عن الأمن الإسرائيلي، وأن يدفعوا من دمهم ونفطهم ومياههم وأرضهم وكرامتهم لضمان بقاء أمن إسرائيل في حالة هيمنة وسيطرة.

نظرية دوري غولد

(دوري غولد) المستشار السياسي لنتنياهو وحكومته، ومستشار الأمن القومي، ومسؤول العلاقات الإسرائيلية مع الكونغرس الأمريكي، كشف هذه الحقيقة في كتيب، من يطلع على مفاصله سيدرك الكثير من الدوافع التي تحرك نتنياهو قولاً وممارسة.

وللعلم فقد كان الجزء الأكبر من المشاحنات بين نتنياهو وديفيد ليفي حول الدور الذي أسند لغولد كمدير للديبلوماسية الإسرائيلية ومسؤول عن ملف الكونغرس.

لنقرأ ونتأمل مواقف غولد من بعض المفاصل الهامة كما سجلها في الكتيب:

حول أوسلو:

- بنود اتفاق أوسلو ٢ قابلة للنقاش مجدداً.
- إعادة الإنتشار من المنطقة ((ج) يجب أن تكون قابلة للتفاوض.
- اتفاقية الخليل هي النموذج للمفاوضات المستقبلية.
- المفاوضات يجب أن تكون بطيئة وعلمية ومنطلقة من أساس أمني.

حول القدس: ورد موقف غولد في تقرير شامل نشر عام ١٩٩٥:

- من الأفضل بقاء القدس قضية معلقة إلى حين الإنتهاء من المفاوضات النهائية.
- الوصول إلى حل ديني يشكل فرصة أكبر للنجاح.
- جعل الأردن الشريك الأساسي لإسرائيل في إدارة الأوقاف الإسلامية.
- قبول إسرائيل بالتنازل عن الأرض في القدس من شانه أن يشعل فتيل الخلاف في المجتمع الإسرائيلي ويثير الشكوك حول شرعية إسرائيل كدولة يهودية.
- حتى تحافظ إسرائيل على مصالحها في القدس يجب عليها:
  - تفادي قيام دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية.
  - وضع أهمية خاصة لوضعية السيادة في المناطق المحيطة بالقدس حتى لاتقوم إستمرارية إقليمية بين سكان الضفة والقدس.
  - تقوية أطراف القدس بحيث تحد من النمو السكاني الفلسطيني.

أليس هذا ما تنفذه حكومة نتنياهو بالضبط؟!!

بالنسبة للجبهة الشرقية وحساسيتها الكبرى يقول:

- على إسرائيل أن تستعد لإحتمال شن أي هجوم عربي وإن كان بدون مصر.
- القوات السورية البرية وحدها كفيلة بشن هجوم عسكري على إسرائيل.
- التقدم المحتمل في القوات المسلحة العراقية وسلاح الجو السعودي مدعاة للقلق.

حول الأهمية الإستراتيجية للضفة الغربية:

- سيطرة اسرائيل بالكامل على المجال الجوي للضفة.
- إستمرار عمل محطات الإنذار المبكر.
- إستمرار تواجد قوات كبيرة في وادي الأردن.

حول السلام ومضاعفاته الإستراتيجية:

- لاتعتبر إسرائيل أية إتفاقية للسلام من وجهة نظر إستراتيجية بأنها دائمة. وبالتالي يجب عليها أن تدفع نحو تحد إستراتيجي مركزي وهو التفوق عسكرياً على الدول العربية المجاورة.
- إجراءات أمنية واسعة المدى داخل اسرائيل وفي الشرق الأوسط.
- نظم دفاعية أكبر عبر إجراءات بناء الثقة.
- مناطق عازلة بدلاً من تقليص القوى على الحدود.
- ضربات إجهاضية بدلاً من المفاوضات على نزع الأسلحة.
- تأهب أمني كامل بدلاً من تنسيق عسكري تام.
- تحالفات أمنية بدلاً من تجارة ثنائية.

وأخيراً يقول غولد: «أن إسرائيل يجب أن لاتتخلى فقط عن تحمل مسؤوليتها التاريخية تجاه اللاجئين، وإنما يجب أن لاتسمح للفلسطينيين بتحمل هذه المسؤولية».

عملية أمنية وليس عملية سلمية

هذه بعض الإضاءات التي نعتقد أنها كافية لإدراك الأسس التي تحرك نتنياهو وإسرائيل، وهي أبعد بكثير وأوضح بكثير من أوهام الواهمين. وهي ليست مجرد كلمات، إنها سياسة قطعت شوطاً بعيداً في التنفيذ، وعليه نعود لفرضيتنا هل ما تقدم كافٍ للإستنتاج أن ذهاب البعض وعدم وقوفه للتأمل ومراجعة التجربة وتفحص الخيارات ليس مرده إستمراره في الوهم، وإنما نتيجة وعي لوظيفة ودور الذات في إطار رؤية إسرائيلية ليس عليها غبار، ولاتخجل من الإعلان عن نفسها بكل وقاحة صادقة.

بعد كل هذا ماذا يبقى من «العملية السلمية» و «المصالحات التاريخية» و «جسور الثقة» و «التعايش». غير أمن إسرائيل أولاً وعاشراً؟ والأمن يشمل: الأمن الشخصي، والأمن القومي، الأمن على المدى البعيد، الأمن الديمغرافي، وأمن الأرض. ويمتد ليشمل بالإضافة للدول المجاورة إيران وباكستان والجمهوريات الإسلامية المستقلة عن الإتحاد السوفيتي إضافة إلى قوس واسع يمر من جنوب البحر الأحمر ليقطع عموم افريقيا ■■

المفكر العربي حلمي شعراوي لـ «الهدف»:

الأمور ستسوء أكثر إذا لم تحدث تغييرات حقيقية في المجتمع العربي

حاوره خليل جنداوي



بشكل أو بآخر، الحوار مع حلمي شعراوي فيه شيء من المخاطرة لاننصح بالخوض فيها من لديه آراء مسبقة يتشبث بها ويخشى عليها من الإهتزاز... فالرجل مطلع وهذا لايعود فقط لأنه مدير مركز البحوث العربية في القاهرة، وهو واحد من المراكز المرموقة على صعيد الوطن العربي وصدر عنه العديد من الإصدارات المهمة... وبحكم إطلاعه الواسع وحرصه على صواب الإتجاه، يهتم حلمي الشعراوي بكشف الحقيقة كما هي مهما كانت قسوتها، حتى لو كان الواقع الذي يظهر أمامه يتناقض مع تمنيات الناس... وهكذا ببساطة لايجد الرجل حرجاً في تفنيد أفكار وآراء اعتاد البعض على النظر لها كمقدسات، وحلمي شعراوي حين يفعل ذلك يمارسه بقسوة الجراح، التي يحاول ببراعة إخفاءها ببعض النكات المرحة الذكية التي تكشف عن روح ساخرة...

أنا لست متفائلاً هنا... أنا لست متفائلاً هناك... قالها حلمي شعراوي أكثر من مرة... لكن مع ذلك لانشعر أبداً أن الرجل متشائم، فقناعته بعدالة وقوة قضيته تجعل إيمانه بامته بلا حدود... أثناء وجود حلمي شعراوي في دمشق كان لنا معه هذا اللقاء في مقر مجلة «الهدف»:

□ في البداية نرجو أن تضع قراءنا في أسباب زيارتك لدمشق وما تحقق خلالها؟

■■لقد قدمت إلى دمشق بدعوة من مجلة «الهدف»، من أجل تدعيم علاقة مركز البحوث العربية ولجنة الدفاع عن الثقافة القومية في مصر مع مجموعات المثقفين الوطنيين في العواصم العربية، فهناك رغبة لدى الجميع بالقيام بعمل مشترك بين مراكز البحوث العربية أو الهيئات التي تمثل المثقفين، هذا أساساً، يضاف إلى ذلك هدف لايقل اهمية يتمثل في إجراء مناقشة واسعة في أوساط المثقفين العرب للإتفاق على ما يمكن عمله في مايو القادم بمناسبة الذكرى الخمسين لإغتصاب فلسطين. وبالتأكيد لمسنا رغبة عند الجميع لعمل شيء قوي يعبر عن رفض المثقف العربي مجدداً للمشروع الصهيوني.

لقد ناقشنا في مصر سبل القيام بنشاطات مختلفة بهذه المناسبة، وقررنا أو بالأحرى اتفقنا فنحن لانستطيع أن ناخذ قرارات عن الآخرين، اتفقنا على أن المجموعة المصرية العاملة في مجال مناهضة التطبيع والدفاع عن الثقافة الوطنية، ستقوم بأكبر قدر من النشاطات التي تشمل أو تحرك أكبر عدد ممكن من القطاعات الجماهيرية في أكبر عدد من المواقع. كان يقوم المجلس الأعلى للثقافة في مصر بعقد ندوة عن الأدب الفلسطيني، ليس من الضروري أن نقول «تسقط الصهيونية» وغير ذلك من الشعارات الخطابية، من سيتكلم عن الأدب الفلسطيني منذ النكبة إلى الآن، فهو سيساهم في إدانة الصهيونية. هذا مثال فقط، كذلك الأمر مع اتحاد الكتاب المصريين، فهم يفكرون بالقيام بنشاطات عديدة بهذه المناسبة، فرغم أن غياب سعد الدين وهبة شكل خسارة كبيرة لهم، إلا أنهم مصممون على مواصلة طريق الإعتراض. وهناك توجه عندهم بإصدار العديد من الكتب عن إسرائيل أو عقد ندوات... وهكذا وبمجرد المسعى الأول لعملنا نجحت الفكرة... كذلك هناك فكرة لمشروع بيان يوقع عليه ألف مثقف عربي، ويُعلن في كل العواصم العربية بأشكال مختلفة، هذه فكرة طرحها إلياس خوري وحسب معلوماتي يوجد مشروع نشاطات جيد في لبنان، ونحن نريد تعميم ذلك في مصر. مثلاً هناك فكرة بان يقرأ هذا البيان في المسارح المصرية كلها بقدر الإمكان يوم ١٥ مايو، وفعلاً تعهد البعض أن يقراه في المسرح القومي في هذا التاريخ.

اليوم قلت للطيب تيزيني إننا نريد من المثقف العربي أن يوقع على جملة فيها معنى الرفض للمشروع الصهيوني. وإذا جمعنا ألف توقيع وعكسنا ذلك للرأي العام الخارجي فهذا بالتأكيد أمر جيد. اليوم أيضاً كنا في مقر إتحاد الكتاب العرب في دمشق وقالوا أن عندهم مجموعة نشاطات. في كل الأحوال يجب أن نعكس اعتراضاً عربياً قوياً.. الآخر يحتفل بمئة عام على تاسيس المشروع الصهيوني وخمسين سنة على قيام الكيان، فليس من المعقول أن نكتفي بالندب أو أن تتحول هذه المناسبة إلى حائط مبكى.

كذلك ناقشنا في هذه الزيارة أفكاراً لتطوير عملنا في مركز البحوث، كإقامة وحدات متخصصة ونحن الآن نشرع في إنشاء وحدة دراسات تعنى بالصراع العربي ـ الصهيوني... بالتاكيد نحن جميعاً مهتمون بهذا الأمر، لكن هذا لاينفي أنه برزت عندنا كفاءات وخبرات عالية جداً في هذا المجال. ومثل ما يُطرح في أوساطكم عن إنشاء مركز دراسات حول الصراع العربي ـ الصهيوني، كذلك الأمر حول الوحدة المتخصصة عندنا، وهذا بإعتقادي استمرار أو محاولة لتنشيط اهتمام الجماعة الثقافية أو البحثية العربية حول هذا الصراع والنظر له من زوايا جديدة وبهمة أو روحية جديدة. هذا مطلوب جداً في المرحلة القادمة التي سنضطر فيها بشكل أو بآخر للعودة إلى الروح التأسيسية، أو سنضطر ولو مجازاً للبدء من الصفر، ولحسن الحظ إننا الآن لن نبدأ من الصفر. فالخبرات موجودة، والهم أو الإهتمام موجود أيضاً، وبالتالي يمكن أن نزعم أننا بعملنا هذا نقوم بتحريك المياه الراكدة في مواجهة المشروع الصهيوني الذي تجاوز مرحلة بناء نفسه

إلى التغلغل في الغير.

□ لننتقل بالحديث عن الوضع العربي ولنبدأ من جانبه الشعبي أو غير الرسمي. من الواضح أن الصراع العربي - الصهيوني لم يعد في المرحلة الحالية حرب جيوش وأسلحة بل تعدى ذلك إلى مجالات أخرى باتت تمس المواطن العربي في حياته. وهناك انطباع أن الشارع العربي يكتشف الآن حجم المشروع الصهيوني الذي تغلغل في الواقع العربي بل كما يقول البعض وصل إلى غرف النوم. كيف تقرأ دور الحركة الشعبية في المواجهة، مع الإشارة إلى أن هناك نظرة متفائلة ترى أن الأمور لو ظلت تسير في نفس إتجاهها الحالي فإنها ستؤدي في المحصلة إلى انخراط قطاعات جماهيرية واسعة في الصراع؟



الاستاذ حلمي شعراوي مع الزميل خليل جنداوي

■■ بالفعل هناك إدراك حقيقي لحجم المشكلة، هناك إحساس بالخطر، لكن يجب أن نلاحظ أيضاً أن أشكال الهجوم الإسرائيلي متعددة وكثيفة للغاية، وبالتالي حققت اختراقات لايجوز إنكارها. مشاريعها مع الدول العربية عديدة ومتنوعة. مع الأردن قفزت الأمور بقوة بحيث تتحقق مشاريع استثمارية مشتركة. وبالتالي تدخل إسرائيل قلب عملية التنمية العربية، التنمية بين قوسين طبعاً، فانت أمام تحقق كبير للمشاريع الإسرائيلية، ففي مصر هناك مشاريع وشراء أسهم هنا وهناك، وتغلغل قوي في الزراعة من خلال تقنيات وخبراء. لقد ذكرت ذلك في حديثي بالأمس للتلفزيون السوري. الوضع اصبح خطيراً لدرجة أن إسرائيل متخيلة إنها تستطيع تعليم المصرين الزراعة والري. وكما تعرف نحن أساساً ليس لنا إلا الري والزراعة ولنا خبرات في هذا المجال عمرها ٥ آلاف سنة. هل من المعقول أن يعلم أحد الفلاح المصري كيف يروي أرضه. بصراحة في الزراعة المصرية الإسرائيليون مكتسحون بشكل مخجل. المكاسب الإسرائيلية كبيرة بلاشك. لكن الوعي بخطورة ذلك مهم، لكن لاأخفيك إننا نفتقد لعناصر هامة للغاية، فنحن لانملك نظم مشاركة سياسية بحيث تقول الناس رأيها ويتحول هذا الحديث إلى فعل سياسي. هذه نقطة أساسية الآن، ليس لدينا تداول سلطة حتى أقول أن من تسبب بكل هذه الكوارث وأعطى كل هذا الفضاء والفسحة لإسرائيل يجب أن يعاقب، وبالتالي لن امنحه صوتي في الإنتخابات القادمة وسأزيحه عن السلطة. في أغلب الدول العربية لايوجد هذا الأمر الضروري جداً لبلورة الوعي الجماهيري بشكل ما في السياسة. هذه مشكلة أساسية. وإذا استمر هذا الوضع فالتفاؤل هنا لامعنى له، بل بالعكس الوضع مثير للتشاؤم ومن زوايا عديدة. مثلاً إذا أخذنا عشر سنوات من عام ١٩٤٨-١٩٥٨ لاحظ قوة الإنقلاب الذي حصل في العالم العربي، من ثورة يوليو عام ١٩٥٢ مروراً بالتغييرات العديدة التي حصلت في دول المنطقة إلى تأميم القناة ثم حرب السويس حتى تحقيق الوحدة عام ١٩٥٨. وهذا يعني إنه مقابل النكبة وسلبياتها وأثرها حصلت مجموعة تطورات كنا نأمل أن تغير الموقف سواء بالنسبة لفلسطين أو الدول العربية. وهذا يبين أن حركة الجماهير كانت تتم في جو مختلف. بالمقابل يحق لنا أن نتساءل أين أصبحت خلال السنوات العشر الأخيرة موضوعة عزلة إسرائيل؟ أين أصبح إعداد الجماهير العربية لمواجهة المشروع الصهيوني؟ والسؤال الأهم عندي هو إلى أي حد يمكن يسير الوضع العربي الحالي ببنيته الإجتماعية - السياسية نحو إعداد المنطقة لمواجهة المشروع الصهيوني؟ مع الأخذ بعين الإعتبار التغلغل الإسرائيلي القوي والكثيف في المنطقة العربية. الموضوع لم يقف عند حدود كامب ديفيد فقط، الآن هناك مشروعات بشكل ما مع دول الخليج وبشكل آخر مع دول المغرب العربي وغيرها... كذلك مشروع الشراكة الشرق أوسطية الذي سيؤدي لقفزة ثانية للوجود الإسرائيلي في المنطقة هذه المسائل لاتوحي بأي تفاؤل... إلا أن تقوم القوى السياسية الفاعلة بالعمل على تغييرات حقيقية في المجتمع العربي.

كذلك يجب الإنتباه إلى رؤية لا أستطيع القول إنها جديدة، لكنها تعبر عن بعض المنطلق المعرفي لشريحة من البيئة الثقافية العربية سواء البحثية أو السياسية. هذه الرؤية تقول إن الإتفاق مع إسرائيل هو الحل، في التنمية مثلاً لجذب الإستثمارات أو لتحقيق ما يسمى بالإستقرار السياسي في المنطقة من أجل جذب الإستثمارات، وتصل الأمور هنا إلى حد مراهنة بعض القيادات العربية على أن اللوبي الصهيوني في أمريكا هو الذي سيأتي بالإستثمارات وموافقات البنك الدولي وصندوق النقد. وإسرائيل تعمل بقوة لترسيخ هذه النظرة. إذن الرهان العقلي كله يختلف. اليوم هناك رهان لدى بعض السلطات العربية ومجموعة قطاعات من الباحثين والمثقفين، رهان على أن استقرار العلاقة مع إسرائيل هو الحل الإجتماعي التنموي، مع أن هؤلاء يدركون جيداً أن الهاجس الأساسي لدى الجماهير العربية هو المسألة الوطنية. طبعاً لا أريد القول أن الهم الوطني هو أكبر وأهم من الموضوع الإجتماعي، لأنه واضح في المحصلة أن الموضوعين مرتبطان بقوة، والقضية الإجتماعية نفسها أصبحت قضية تحرر وطني. لاحظ أنه خلال السنوات الماضية في حالات قليلة جداً خرجت الجماهير للشارع من أجل قضايا اجتماعية. مثلاً هل هناك أخطر من موضوع بيع القطاع العام في مصر ومع ذلك لم نشاهد ولا مظاهرة واحدة للعمال ومصانعهم تباع أمام أعينهم وهم يسرحون بالآلاف. لكننا نجد مظاهرات احتجاجاً على العدوان الأمريكي على العالم العربي. كذلك نجد تظاهرات ضخمة في منطقة المغرب العربي لم نكن نحلم بها. ما أريد الوصول له أن مسألة التحرر الوطني مازالت معياراً، لكن علينا أن نصيغ علاقة التحرر الوطني بالإجتماعي، لأن بدون هذا الربط تختل المعادلة أو حتى لاتستقيم، فبدون المسألة الإجتماعية معنى التحرر الوطني يصبح فارغاً. مع ذلك يجب الإنتباه لحقيقة جديدة فسابقاً كنا نفرق بين صندوق النقد والبنك الدوليين ومواقفهما المختلفة نسبياً عن مواقف الولايات المتحدة وغيرها من الدول الرأسمالية الأخرى على اعتبار أن هذه هيئات مساعدة منبثقة عن الأمم المتحدة، الآن

يجب أن نلاحظ أن الخلافات القديمة تلاشت، وهذه الهيئات الدولية باتت أدوات سياسية بيد الولايات المتحدة، فانت هنا أمام مواجهة مباشرة مع المركز الإمبريالي. وتبرز الآن بإلحاح أمام القوى والسياسية الوطنية مهمة تضمين المشاعر الوطنية للشارع بأبعاد اجتماعية حقيقية لمصلحة الجماهير، وإلا سنبقى أمام تهويمات وطنية ليس إلا. بينما الحكومات تقوم بتغييرات اجتماعية تعبر عن نظرتها والمنسجمة مع رؤية الهيئات الإقتصادية الدولية، هنا الخطر الرئيسي فعملية الخصخصة مستمرة، لكننا مثلاً لانجد أنفسنا أمام رأسمال وطني، بل نجد أن ما يتمخض عن هذه العملية هو رأسمال تابع لنظام عالمي جديد تعبر عنه مراكز وهمية عابرة للقارات تقف حتى فوق السلطة الأمريكية نفسها. فإذا استمرت عملية التغيير هذه من مصادر مركزية دولية خفية، بين قوسين، فانت أمام وضع سيسفر عن تغييب الجماهير لأطول فترة ممكنة. وبالتالي سيكون نفس الشعور الوطني مهدداً، وبالتأكيد فانت في هذه الحالة لاتستطيع أن تعتمد على قوة مبهمة غامضة غير محددة اسمها الشعور الوطني. لاحظ الفرق بين خروج الجماهير العربية للشارع عام ٩٠، والأزمة الأخيرة حيث الغالب هو عدم التعاطف مع أمريكا، لكن في النهاية الحكومات وضعت هذا في الإعتبار عندما اتخذت مواقفها، الأمر الذي أدى لإرتياح لدى الجماهير وهذا من أسباب عدم خروجها للشارع وليس انهيار معنوياتها، فمثلاً في مصر على ماذا ستحتج إذا كانت الحكومة المصرية أعلنت أنها لن تشارك ولن تسمح بإستخدام أراضيها وإنها معترضة على الضربة.

□إذا نظرنا للوضع العربي في شقه الرسمي، سنجد أن أزمة الخليج الأخيرة كشفت قصوراً عربياً مرعباً في التعاطي مع القضايا العربية، فجاءت مبادرات الحل كلها من عواصم غير عربية. وإذا انتبهنا لحقيقة وجود دولتين عربيتين تحت الحصار هما ليبيا والسودان، سنجد أنفسنا أمام سؤال مؤلم: هل أفلس العمل العربي المشترك؟ ألا يمكن القيام بشيء لإنقاذ ما يمكن إنقاذه؟.

■■ في كل الأحوال يجب أن نلاحظ أن المواقف العربية في الأزمة الأخيرة ظلت حتى النهاية متذرعة بالشرعية الدولية رغم أن هذه الشرعية كانت في أغلب الحالات مضادة لشعوبنا وقضايانا. ونحن نعرف كيف اتخذت القرارات في مجلس الأمن حيث مارست دولة واحدة الضغط على الجميع. هذه القرارات لاتعبر عن قوة المجتمع الدولي ورغبته، ومع ذلك فإن الخروج من المأزق العراقي ولو في حدوده الراهنة يجب أن

● في الذكرى الخمسين لنكبة فلسطين يجب أن نعكس اعتراضاً قوياً يعبر عن رفض الشارع العربي مجدداً للمشروع الصهيوني.

● العامل الفلسطيني أصبح مشكلة حقيقية وخصوصاً أن سقف المفاوض الفلسطيني هو أدنى من أي سقف جماهيري حوله.

يوصلنا للموضوع الفلسطيني. في فترة الأزمة الاخيرة في الخليج تابعت على إحدى محطات التلفزة برنامجاً سألوا فيه محاوراً عربياً ألستم تطالبون إسرائيل بالتطبيق الكامل لقرارات الشرعية الدولية مثل ٢٤٢ وغيره ولو بالقوة؟ فأجاب المحاور نعم نطالب بذلك، بعدها سألوه فوراً لماذا إذن تعترض على تطبيق القرارات على العراق ولو بالقوة؟ طبعاً المسألة مقلوبة وفيها مغالطة واضحة لكن السؤال منطقي، والمسألة الآن هي إلى أي مدى يستطيع الموقف العربي ان يقول لقد ألزمنا العراق بالتوقيع على وثيقة تقول إنه ملتزم بتطبيق قرارات الشرعية الدولية إلى النهاية، فلماذا لانطبق هذا الوضع على إسرائيل. هذا الأمر يحتاج إلى دفع عربي لايبشر به الواقع الراهن. بصراحة لا أستطيع أن أتوقع من النظم العربية هجمة في الكواليس الشرعية الدولية، وإذا كان تحركنا في مجلس الأمن غير مضمون الآن نتيجة للظروف التي نعرفها، فما الذي يمنع الدول العربية من التحرك داخل الجمعية العمومية للأمم المتحدة والتي تضم أكثر من ١٨٠ دولة والنفوذ العربي يستطيع أن يجمع حوالي ١٠٠ صوت، ويأخذ قراراً يكون بمثابة توصية لمجلس الأمن بإلزام إسرائيل بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة ولو بالقوة.

على فكرة هذه نقطة مهمة لم ننتبه لها سابقاً. فقبل ايام خلال مقابلة مع السفير البريطاني سألوه عن إزدواجية المعايير فأجاب بصفاقة إن القرارات المتعلقة بالعراق تعود للباب السابع القائل بإستخدام القوة، لكن لم يقل احد أن القرارات الخاصة بفلسطين فيها إشارة لعقوبات أو لإستخدام القوة. بصراحة ليس لدينا الوعي القانوني الكافي في العالم العربي، فهذا الأمر يحتاج لدراسة معمقة، في كل الأحوال يجب أن نحاول الآن أن نتوجه للجمعية العمومية لتصدر قرارات تتضمن مناشدة مجلس الأمن لأخذ قرارات بخصوص القضية الفلسطينية مستندة للباب السابع. وهذا الأمر يحتاج إلى نهضة من القوى السياسية الفاعلة في الدول العربية، لتعقد مؤتمرات وندوات وتدفع حكوماتها لتبني هذا

الموقف. في كل الأحوال يجب أن نشدد على حقيقة أن الضعف والهشاشة في الموقف العربي تعود أساساً لعدم وجود آليات للمشاركة السياسية فعلاً في العالم العربي. فمثلاً لو كانت لدي أفكار معينة، كيف أستطيع بلورتها؟ سأكتب في جريدتي... لكن هل هذا يكفي؟ طبعاً لا وخصوصاً في ظل عدم وجود آليات ديمقراطية لتداول السلطة في الدول العربية. إذا كان الواقع العربي يفتقد لكل هذا فلا أدري من أين ستأتي عملية التغيير في الوضع العربي. لكن لو نظرنا بطريقة برغماتية لندفع ببعض الأمور، فالمطلوب توجه الجامعة العربية التي تستطيع أن تذهب مع منظمةالوحدة الأفريقية للتحرك في الجمعية العمومية، معنا هنا حوالي ٧٠ أو ٦٥ دولة على الأقل بين عرب وأفارقة، كذلك الأمر مع منظمة المؤتمر الإسلامي ودول عدم الإنحياز. بشكل أو بآخر تستطيع بلدان مثل مصر وسوريا والمغرب والسعودية لعب دور كبير في هذا السياق.

ومع ذلك بدون التطور في آليات الصراع الإجتماعي في المجتمعات العربية لن تستطيع أن تتقدم كثيراً في الجانب السياسي. وبكلام آخر لن تستطيع أن تدفع السياسي بعيداً عن الإجتماعي. أنت عندك جماهير مهمشة وقطاع عام محلول وأزمات اقتصادية في كل الدول العربية حتى في السعودية التي تعاني أزمة مديونية وهذا أمر مثير للسخرية، والنظام الفلسطيني نفسه أصبح واحداً من نظم الحكم العربية وهذه كارثة جديدة، وإذا كان سقف المفاوض الفلسطيني هو أدنى من أي سقف جماهيري حوله، فكيف ستخرج هذه الجماهير العربية للتظاهر من أجل شيء نزل هذا المفاوض الفلسطيني تحته مئة درجة، بصراحة العامل أو العنصر الفلسطيني أصبح مشكلة حقيقية. فأوسلو جعل فلسطين معبراً اقتصادياً لإسرائيل باتجاه الدول العربية، أوسلو يتيح المجال لإقامة علاقات اسرائيلية مع كل الدول العربية، أوسلو يجعل فلسطين منزوعة القدرة على إقلاق النظام الإستيطاني الصهيوني، ولاننسى أن السقف الفلسطيني كان دائماً أعلى حين مارس الكفاح المسلح والإنتفاضة... فإذا كانت كامب ديفيد هي محاولة من دولة عربية لحل منفرد، فالموقف الفلسطيني الأعلى كان يتيح المجال للجماهير العربية كي تعترض وترفض، الآن كيف ستعترض إذا كان هذا هو الموقف الفلسطيني وموقف الجامعة العربية، والمغرب وتونس فيها قنصليات وسفارات إسرائيلية والأردن داخل فيما يشبه الحلف مع إسرائيل، وقطر تراهن أن مشاريعها الكبرى في قطاع الغاز ستكون مع إسرائيل؟ بصراحة بدون حصول تغييرات عربية داخلية عميقة، سيكون الموقف صعباً على مستوى المنطقة ككل، كذلك على

المستوى الوطني هنا وهناك.

□أفهم من كلامك أن الواقع العربي الراهن لايبشر بأي آفاق إيجابية؟

■■مع نظم العولمة القائمة الآن هذه المسألة تصعب جداً...

□ (مقاطعة) دعني أصغ السؤال بطريقة أخرى: هل أفلست جامعة الدول العربية فلم يبق لها دور تفعله؟ هل سدت السبل أمام أي عمل عربي مشترك للنهوض بالوضع العربي من حالته الراهنة؟

■■أنت تأخذ الظواهر من آخرها، فلننظر للامور من بداياتها، منذ متى كان هناك دور للجامعة العربية حتى نستنتج مثلاً أنه كان لها دور ثم أُلغي مثلاً؟

□كان لها في المرحلة السابقة دور أكبر من الحالي بالتأكيد...

■■ لا... لا، في ظل الوضع الذي نشأ بعد حرب الخليج كيف يمكن الحديث عن جامعة عربية أو منظمة إقليمية خاصة بنا؟ تذكر أن الأمين العام للجامعة العربية كان ممنوعاً من قبل مجموعة محدودة مثل دول الخليج من زيارة العراق أصلاً، تصور أن دولة خضعت لكل هذه المآسي، وأنت الأمين العام ولاتذهب لترى الوضع بعد سبع سنوات من الحصار، لشرحه أمام المحافل الدولية كالأمم المتحدة مثلاً... وهذا بسبب الشرط الكويتي بأن الأمين العام إما أن يبحث موضوع الأسرى الكويتيين ويحضرهم معه أو يقنع العراق بالإقرار بوجودهم ويتعهد بالإفراج عنهم أو لايذهب الأمين العام من أساسه. ولاحظ أن عصمت عبد المجيد طرح هذه المشكلة خلال زيارته لبغداد، رغم إنه ذاهب في ظروف مرعبة حيث طبول الحرب تدوي بعنف، لكنه مع ذلك طرح هذا الموضوع واستجاب له الرئيس العراقي فأفرج عن المعتقلين الجنائيين العرب في العراق.

أنت هنا أمام منظمة إقليمية في نظام عالمي لسنا طرفاً فاعلاً فيه. ألفت الإنتباه إلى تصريحات مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا حيث هاجم الإمبريالية الإقتصادية وقت أزمة العملات في بلاده. لاتنسى أن مهاتير محمد هو رجل الغرب حتى النخاع، لكنه مع ذلك هاجمهم عندما أحس أنهم أغرقوه وتخلوا عنه عندما ساهموا في انهيار النظام الإقتصادي لبلاده وحاولوا أن يفرضوا عليه تدابير قد تؤدي إلى ثورة اجتماعية، فاعتبر أن ذلك هو ممارسة امبريالية اقتصادية. هذا رد فعل من بلاد فيها شيء من الروح، هل استطاع العرب أن يقولوا أن التصميم الأمريكي على توجيه ضربة عسكرية للعراق هو تعنت امبريالي... بالمناسبة كلمة امبريال بالإنكليزية ليست عيباً أو شتيمة كما نعتقد، بل هي كلمة تعني «مسيطر» أو «مهيمن» أقصد أن يستخدمها زعيم عربي ما بشكلها الموضوعي على أنها هيمنة مبالغ فيها وممارسة للسيطرة الأمريكية وفرضها على العالم. وإذا لاحظت فالتفسير الأمريكي لقرار مجلس الأمن الدولي الذي أقر الوثيقة التي توصل لها كوفي أنان، يقول إن أي خرق عراقي للقرار يؤدي فوراً لاستخدام القوة بدون أي عودة لمجلس الأمن لمناقشة هذا الموضوع.

> ● لن تستطيع أن تدفع السياسي بعيداً عن الاجتماعي، فالجماهير عندنا مهمشة والقطاع العام محلول، ولدينا أزمات اقتصادية في أغلب الدول العربية.
>
> ● نحن كعرب نفتقد لعناصر هامة للغاية لا غنى عنها لمواجهة المشروع الصهيوني المتجدد.

□أعود مرة أخرى وأسأل على ضوء هذا الوضع، كيف تنظر لآفاق العمل العربي المشترك بشقه الرسمي؟

■■لا أخفيك أنا لا أحب هذا التعبير، عمل عربي مشترك... نحن نقول إما وحدة عربية أو لا... فالعمل المشترك مع من؟ تحفظي على هذا المصطلح أن أي عمل بين واحد وآخر هو مشترك. يعني لقاءات مصر وفرنسا هي عمل مشترك. أنا أعرف أن ما في ذهنك هو أكبر من كلمة «عمل مشترك» ونقطة...

□ما أفكر فيه أننا الآن بتنا في وضع سيء، لدرجة أن الشارع العربي في كل مكان يتمنى حصول ولو حد أدنى من التضامن العربي، ويعتبر أن ذلك سيكون بالتأكيد أفضل مما عليه الحال الآن.

لننتقل للسؤال التالي وهو عن مصر. من الملاحظ خلال الأعوام القليلة الماضية حصول تغيير في الموقف الرسمي العربي باتجاه القضايا العربية، هناك من يقول أن القيادة المصرية تحسست خطر فقدان دورها الإقليمي لمصلحة إسرائيل التي روجت وقتها لمشروع الشرق أوسطية. ما قولك هنا، وهل هذا السبب وحده يفسر التغيير في الموقف الذي نتحدث عنه؟

■■أنت تعرف أن هناك تقليداً مصرياً بعدم الحديث عن الفراعنة وأنت خارج مصر!!

نحن في مصر عندما نثير هذا الموضوع نقول أنه حتى لو غيرنا كلمة العالم العربي أو الوطن العربي حتى لو سحبنا الإلتزام المطلوب عن استخدام هذه التعابير أو حتى خففنا هذا الإلتزام وأخذنا بمصطلح النظام الإقليمي، دائماً نسأل السياسيين المصريين ألا تولون أهمية لقضية المنافسة داخل النظام الإقليمي، فانت يجب أن تتبنى موقفاً متميزاً يعكس الرغبة بتفوق مصر؟ وبالتالي الإعتراض على بعض السياسات الإسرائيلية وعدم التسليم ببعض الأمور وطرح وجهة نظر لقيادة الإقليم بشكل معين. أثيوبيا مثلاً تحاول أن تقود النظام الإقليمي في القرن الإفريقي وتتصدى لمنافسة ارتيريا، وأوغندا نسبياً، وتمارس ذلك بشكل أو بآخر بتدخلها في الصومال. أقصد أن أقول إننا إذا قبلنا بمصطلح النظام الإقليمي في المنطقة العربية أو حتى لو أسموها الشرق أوسط، فالنظام المصري يجب أن يضع في اعتباره تحقيق التفوق بين المتنافسين، وإذا أخذنا بحسن النوايا ودققنا في بعض التصريحات الأخيرة، يبدو أن هذا الأمر يقلقهم في الفترة الأخيرة، يعني شاغل مصر موضوعة أن تنفرد اسرائيل بالمنطقة إلى هذا الحد وتعزل مصر وتحجّم دورها إلى الدرجة التي تريد. وطبعاً ترى إلتفافات مصرية هنا وهناك كاللقاءات مع سوريا ومع السعودية... لكن يجب الإنتباه إلى حقيقة أن كل هذا يجري في إطار النظام العالمي...

□لكن هل الخوف على الدور الإقليمي وحده يفسر التغيير في الموقف المصري، أم أن هناك أسباباً أخرى؟

■■أنا لو تأملت ماجرى في الأزمة الأخيرة في الخليج، سأجد أن مخاوف السعودية من دخول حرب ثانية أو على الأقل أن تتحول أراضيها لساحة لهذه الحرب، هو الذي حرك الوضع، كما تعرف تحفظت السعودية عن استخدام أراضيها لضرب العراق، لم تقل الكثير في هذا السياق، لكن ماقالته كان كافياً وكان بمعنى «دعونا هذه المرة»، كذلك يجب الإنتباه لوجود تيار قوي جداً داخل السعودية رافض أو على الأقل غير مرتاح لنتائج حرب ١٩٩١، ويقول أصحابه لقد أعطينا الأمريكان أكثر من اللازم، لذلك أعتقد أن الموقف المصري كان في حدود الموقف السعودي، بمعنى لن نحارب ولن نسمح باستخدام أراضينا للضربة، هذه محاولة لترميز أو تفسير الموقف المصري قدر الإمكان، ولو كان الدافع هنا هو رفض مصر للهيمنة الإسرائيلية فلا شك أننا أمام خطوة أفضل. لكن في النهاية إسرائيل تكبل المنطقة مع الأمريكان بعشرات الأشياء من الإتفاقات الفرعية لكامب ديفيد، إلى ارتباط مصر وارتهانها لصندوق النقد الدولي وسياساته ومنظمة الغات مؤخراً وغيرها... كل هذا لايعطي مصر هامشاً كبيراً للتميز في مواقفها، والظرف بشكله الراهن لايتيح

مجالاً لمصر إلا باتباع سياسات اقتصادية جديدة. مثلاً مصر عندها الآن ودائع وفائض نقدي حوالي ٢٠ مليار دولار. رمزي زكي عالم الإقتصاد المصري المعروف عمل دراسة اقتصادية قبل مدة، ونشرت على نطاق واسع، يبحث فيها سبل استثمار هذا الفائض المصري في شراء الديون المصرية أو عمل اعتمادات لدعم عمليات الإستيراد والتصدير، أي الإعتماد على هذه الـ ٢٠ مليار لبلورة عملية تحرر اقتصادي من الهيمنة الأمريكية.

□كما هو معروف تحصل مصر على حوالي ٢ - ٢,٥ مليار دولار كمساعدات أمريكية، ونلاحظ في الاعوام الماضية أن بعض الاوساط المؤيدة لاسرائيل في الولايات المتحدة تطرح هذا الموضوع كنوع من الضغط على مصر. كالقول أن السياسات المصرية لاتنسجم مع التوجهات الأمريكية أو حتى تهدد المصالح الأمريكية في المنطقة ويطالبون بقطع هذه المساعدات. ألا تستطيع مصر أن تستغني عن هذا المبلغ الذي لايمكن القول أبداً أنه كبير؟

■■المختصون الإقتصاديون الحكوميون يقولون أن الأمور ليست بهذه البساطة، فمن ضمن هذا المبلغ هناك مليار لتسليح الجيش، إذن فانت لن تشتري سلاحاً من أي مكان إلا من أمريكا مقابل هذه المساعدة، هذا عنصر. النقطة الثانية هي أن المساعدة الأمريكية مرتبطة بالبرنامج الكلي للإقتصاد المصري مع صندوق النقد ومؤسسات الغات وغيرها، كذلك في قطاع الزراعة فهناك اتفاق أساسي أن مصر تأخذ القمح من أمريكا مقابل أشياء أخرى، وبالمناسبة مصر لاتستطيع أن تغير اتفاق القمح بسهولة، ممنوع تغيير اتفاق القمح، هذا عن المواد الغذائية. إذن المسألة ليست ٢ مليار دولار وحجمهم فقط، بل وضعهم كحلقة ضمن سلسلة، لو عملت إشكالاً هنا ستهدد باقي الحلقات، يعني سياسة دومينو على الصعيد الإقتصادي. على فكرة قبل فترة عملوا في كلية الإقتصاد في مصر ندوة عن مدى حاجة الإقتصاد المصري للمساعدات الأمريكية، ماذا يعني ٢ مليار أو ٢,٥؟ جدياً أقول أن هناك مصرياً ما يستطيع بمفرده دفع هذا المبلغ. محمد حسنين هيكل قال قبل فترة في إحدى دراساته أن هناك أكثر من ١٠٠ مليار دولار مصري في الخارج، فيهم حوالي ٥٠ مليار من مصريين مقيمين في مصر، عادة يكون الإنطباع أن النقود المصرية في الخارج هي ملك لمصريين مغتربين. مثلاً نقود الفايد معتبرة مصرية في الخارج لأنه شخص مصري يحمل جواز سفر مصرياً وبريطانيا ترفض منحه الجنسية. معلومة هيكل الخطيرة أن ٥٠ مليار دولار في الخارج هي ملك لمصريين مقيمين بيننا. وإذا أخذنا بالإعتبار ان هناك ١٥-٢٠

● أشدد على حقيقة أن حالة الضعف والهشاشة في الموقف العربي تعود أساساً لعدم وجود آليات للمشاركة السياسية فعلاً في الوطن العربي.

● مسألة المساعدات الأمريكية لمصر ليست ٢ مليار دولار وحجمها فقط، بل وضعها كحلقة ضمن سلسلة الاقتصاد المصري.

ملياردير اً مصرياً أي يملكون مليارات، غير المليونيرات الذين يملكون ملايين فقط، إذن بحسبة بسيطة نستنتج أن هناك أكثر من شخص مصري واحد يملك أكثر من ٢ مليار.

وفي هذا السياق أشير لنقطة هامة، فهناك ألاعيب كثيرة تجري حول ديون مصر، يقال إن إسلاميين وغير إسلاميين يشترون في أوربا ديون مصر. مثلاً مصر مديونة لبنك ما بـ ٢ مليار دولار، هو يدفع مليار للبنك وتصبح مصر مديونة له بـ ٢ مليار، وهكذا... ولاداعي لذكر أسماء هنا، لكن يجب أن ألفت الإنتباه إلى أن هناك مخاوف من دخول مؤسسات صهيونية في هذه اللعبة، طبعاً الأمن المصري يبذل جهوداً كبيرة في هذا الإطار لمنع التسلل الصهيوني لهذه النقطة الحساسة، لكن بصراحة لا أحد يضمن كيف ستسير الأمور فعلاً. قصدي أن أقول هنا أن الإرتباط عن طريق العامل الإقتصادي موضوع خطير جداً.

□شعرت من كلامك وكأنك تعتقد بعدم جدية التغيير في الموقف الرسمي المصري الذي حصل خلال العامين الماضيين باتجاه بعض القضايا العربية. ماقولك؟

■■... أقول لك ممتنع عن الإجابة..

□سأحاول صياغة السؤال بطريقة أخرى، إلى أي مدى تعتقد أن الموقف الرسمي لمصر يستطيع أن يتصادم مع التوجهات الأمريكية في المنطقة أو على الأقل يتعارض معها؟

■■ أقول بصراحة أن الأزمة العراقية الأخيرة تثبت إستحالة التعارض مع الموقف الأمريكي...

□هناك انطباع أو حتى تسريبات فلسطينية أن الموقف المصري الرسمي كان مؤخراً فوق سقف القيادة الفلسطينية، وثمة معلومات أنه كانت هناك ضغوط مصرية تحث على عدم التنازل أكثر، وهذا ما أثار الإستياء الأمريكي علناً. هل تعتقد أن الموقف المصري جاد في إحتضان الموقف الفلسطيني وحمايته أو حتى رفع سقفه، على الأقل من زاوية حماية دور مصر الإقليمي؟

■■...أتمنى ذلك!!

□نتنياهو طرح أكثر من مرة أن الشرق أوسطية هي كلام فارغ، وبناء على رفضه لفكرة إندماج إسرائيل في المنطقة فهو كأنما يريد كل شيء دون أن يعطي للعرب أي شيء... وهكذا يبدو أن الدولة الصهيونية وخلفها أمريكا تدفعان بالصراع والتناقض لحدود قصوى وكأنهما لاتقبلان بأقل من تكسير شامل للإرادة العربية وفي كافة المجالات: السياسية، العسكرية، الإقتصادية... لكن ألا يدفعون العرب بذلك نحو الحائط وبالتالي لايدعون لهم أي خيارات سوى المقاومة؟ هل يمكن القول أن إسرائيليين ومعهم الأمريكان غير عابئين أو حتى منتبهين لخطورة ما يقومون به؟

■■ في كتابه «مكان تحت الشمس» يشير نتنياهو إلى نقطة هامة جداً عندما قال إنه لايفهم سبب الإنزعاج العربي الحاد منه شخصياً أو من الليكود الذي استمر في السلطة حوالي عشرين سنة بإستثناء فترة قليلة حكم خلالها العمل. وقال إن الليكود نفسه هو الذي وقّع كامب ديفيد وهو الذي أقام علاقات مع ست دول عربية لم يذكرها، وأضاف إن الليكود منفتح لبناء علاقات مع العرب وبالتالي ليس هناك مخاطر من التعامل معه. فلماذا الإنزعاج الآن بهذا القدر من الليكود والتعامل معه كشرير؟... في كل الاحوال العرب أمضوا ٢٠ عاماً وهم يقيمون علاقات مع حزب معين لايخفي مخططاته وسياساته طوال هذه الفترة. ومجرد قبول العرب بهذه العلاقة يعني إنهم تنازلوا منذ ذلك الوقت، فتوقيع كامب ديفيد لم يأت في ظروف مختلفة أو مع ناس آخرين لنقول إننا وقعنا قبل أن يأتي هؤلاء الأشرار، وحتى عندما جاء حزب العمل للسلطة فهو بشكل أو بآخر مارس أو استمر في ممارسة السياسة الليكودية. من جهة أخرى أعتقد أن إسرائيل بمعظمها سواء في حزب الليكود وبعض قطاعات حزب العمل تنظر أساساً للعلاقة مع أمريكا وأوروبا أو الغرب كشيء أساسي. يعني نظامهم قائم هنا لكن علاقاته العضوية المباشرة تكون مع أمريكا وأوروبا. وبالتالي يعتبرون أن الشرق أوسطية غير صحيحة. أعتقد أن المجتمعات العربية نتيجة للعنف الإسرائيلي باتت أكثر قبولاً بالشرق أوسطية من إسرائيل نفسها، أعتقد أن إسرائيل بعد أن أجرت حساباتها وعرفت إلى أي مدى ستتحرك معها أمريكا، اصبح التيار الغالب فيها هو بإتجاه أن إسرائيل هي جزء من الغرب والرأسمالية العالمية. من تأمل الوقائع يتضح أن النظم العربية أصبح أملها في الفترة القادمة هو أن تنجح الشرق أوسطية وهم يبررون بأن ذلك سيؤدي إلى تليين إسرائيل وإحتوائها.

يقولون نتعاون لأن كل النظم الإقليمية باتت تتعاون فيما بينها في إطار عملية العولمة، لكن من الواضح أن القرار اليميني الإسرائيلي هو الإندماج بالغرب وليس بالمنطقة. هذا سيسفر عن خطر حقيقي بإستمرار سياسات التهديد والعنف. ومع ذلك أستنتج أن المنطقة العربية لن تكون في كل الأحوال خارج دائرة المخططات الإسرائيلية سواء بالشرق أوسطية كحد أدنى أو عبر مشاريع اليمين الإسرائيلي بالإلتحاق بالمعسكر الرأسمالي العالمي كحد أعلى. وبناء على ذلك لا أدري أين سيُعقد مؤتمر الشرق أوسطية القادم، لأنه في فترة ماضية كانت هناك مشاريع لعقد مؤتمر ما بعد الدوحة في إسرائيل وبعدها قالوا غزة... وأعود لفكرة ذكرتها سابقاً هي أن المخرج الآن يكون بالدفع العربي باتجاه الجمعية العمومية للأمم المتحدة لتوصي بمشاريع قرارات لمجلس الأمن تقول بإلزام اسرائيل بتنفيذ قرارات الشرعية الدولية ولو بالقوة أو فرض عقوبات عليها وإدخال الباب السابع كعنصر أساسي في القرارات. هذا لو تم سيقود لمحاصرة فكرة القمة الإقتصادية هذه، كذلك من الممكن أن يؤدي هذا إلى إنعاش العمل العربي المشترك إذا قبلنا التعبير الذي قلته بإتجاه شيء محدد أكثر جدية ومحسوسية.

□سؤالي التالي حول التطبيع، يُحكى الكثير عن التجربة المصرية في مواجهة التطبيع ونجاحاتها. لو تضعنا في أجواء هذه التجربة ودروسها؟

■■نجاحاتها... باعتقادي هذا التقييم غير واقعي...

□على الأقل هذا ما يتم تداوله خارج مصر، أو ما نستنتجه من وسائل الإعلام، نحن بالتأكيد ندرك أن المصريين لم يفشلوا التطبيع نهائياً، لكن المعلومات التي تصلنا تقول إنهم وضعوا عوائق عديدة في وجهه.

■■ فلندقق في الأمر، هناك اتفاقات ومطالبات وتطبيع على المستوى الإقتصادي من جهة، وهناك محاولة لتسييس هذا الأمر أو تحويله لموجة سياسية من جهة أخرى. لقد أحضرت معي إلى سوريا كتاباً عنوانه «الشرق أوسطية. مخطط امريكي صهيوني» هو حصيلة ندوة دعونا لها قبل فترة في لجنة الدفاع عن الثقافة القومية وكانت ندوة كبيرة شاركت فيها هيئات وأحزاب وخبراء، في هذا الكتاب باب أساسي عن قضايا التطبيع في مصر يتضمن خمس دراسات تتحدث بالتفصيل عن التطبيع في قطاعات مختلفة كالبنكي والزراعي والبترولي، العمالة. أرجو أن تطلّعوا عليها وتحاولوا تلخيصها. تعتبر هذه الدراسات من أفضل ما كتب عن التطبيع في مصر، وبصراحة لا أخفيك قد تصاب بالرعب وأنت تقرأ الأرقام والمعلومات. هذا التطبيع الإقتصادي يتم تغطيته بالثقافي والمقاومة للتطبيع في هذا المجال. من جهة أخرى قيل في الندوة أن ما يجري في اللجان متعددة الأطراف المنبثقة عن مؤتمر مدريد هو أخطر بكثير على الواقع العربي من أي شيء نسمع عنه. وأعمال هذه اللجان تجري كما تلاحظ بصمت وبدون أي ضجيج إعلامي. لجان خاصة بالمياه، بالبترول، اللاجئين، بالبيئة ٩ أو ١١ لجنة العمل فيها يتواصل بجدية. هذه عملية خطيرة من واجبنا أن نتابعها وندقق في أوراقها لأن هدفها الأساسي هو صياغة أو تشكيل المنطقة العربية. الشيء الوحيد الإيجابي الذي نسجله هنا أن مصر رافضة تماماً لطرح موضوع مياه النيل للنقاش ضمن هذا الإطار، ومع ذلك فهي تحضر الإجتماعات. أنا أثرت هذه النقطة مع السفير عمران الشافعي الذي هو ممثل مصر وخبير دولي مهم في مجال المياه وهو يحضر كمراقب، كان رأينا إنك تقول أن مياه النيل لن تطرح للنقاش فلماذا الذهاب اصلاً وحضور اجتماعات لجنة المياه؟ في كل الأحوال ما أريد أن أقوله هنا أن المسعى الإسرائيلي على المستوى الإقتصادي يسير بنجاح وبشكل مضطرد ومستمر، ولاحظ ما جرى في مؤتمر الدوحة، قالوا لقد أفشلنا مؤتمر الدوحة وتحول إلى مؤتمر إقتصادي، وكأننا بذلك أفشلنا المؤتمر جداً!! فاصبح مجرد اجتماع لمناقشة المشاريع الإقتصادية، وكأن هذا موضوع غير مهم. بالمقابل هناك تركيز عربي على مناهضة التطبيع في الجانب الثقافي رغم أن إسرائيل غير مهتمة كثيراً بهذا الجانب فهل المطلوب أن أتكلم «عبري» أنا أو غيري!!

□اليوم نشرت صحيفة «الحياة» اللندنية حديثاً مع لطفي الخولي قال فيه أن من يختلفون مع جماعة كوبنهاجن أقلية. فماهو رأيك؟

■■أقلية بالنسبة لمن؟

□يقصد أقلية ضمن المناخ الثقافي السائد في العالم العربي ومصر خصوصاً.

■■ لاأخفيك جماعة كوبنهاجن يسيرون بشكل مؤسسي خطير جداً، عندهم مشروع جريدة، ولديهم مؤسسة في لندن مع مؤسسة بيرز، وهناك تمهيدات لمجلة في مصر، يعني كارثة يمكن أن تحصل. في هذا السياق اشير إلى أنني كتبت قبل فترة في صحيفة «الأهالي» مقالاً تحت عنوان «أصحاب كوبنهاجن يدخلون الإنتخابات الإسرائيلية» ناقشت بعض مقولاتهم وركزت على مراهنتهم الدائمة على حزب العمل الإسرائيلي، بمعنى أن نتنياهو هو الوحيد السيء وكأنهم بشكل أو بآخر داخلون الإنتخابات مع حزب العمل. بالمناسبة فرعهم في مصر أو كما يسمون أنفسهم جماعة القاهرة للسلام حاولوا تسجيل أنفسهم كجمعية أهلية في وزارة العمل والشؤون الإجتماعية، يعني يريدون أن يعملوا بشكل شرعي. معلوماتنا أن السلطات المصرية رفضت، فأحضروا كيمحي وعقدوا اجتماعاً يبدو أنه تأسيسي في ماريوت في يناير الماضي. بصراحة إنهم يعملون بنشاط... بالنسبة للعدد عندنا في مصر يقولون العدد في الليمون!! لكن لو ندقق في الأسماء التي وقعت على بيان كوبنهاجن لايستطيع لطفي الخولي أن يقول إنهم أغلبية. علي الراعي عمره ٧٥ سنة، وطبعاً لم يذهب لكوبنهاجن لكنه طلب أن يوقع من سريره. فليقل لنا لطفي الخولي من غير الأسماء التي وقعت على البيان تؤيده؟ بالتأكيد ثمة كذب هنا. بالمقابل هناك موقف عالي من المثقفين عكسه جابر عصفور حين تحدث أمام أكبر مؤتمر ثقافي في مصر حيث احتشد اكثر من ألف مثقف وقت إفتتاح مؤتمر الرواية، وتطرق للمسألة الصهيونية. لا... لايوجد مثل هذا الجو الثقافي الذي يتحدث عنه لطفي الخولي، لا أعتقد أن هناك إمكانية لعب في الثقافة بسهولة. كل ما هناك حالات اختراق بمعنى يحضرون بعض رجال المخابرات مثل كيمحي وغيره ويجتمعون في القاهرة أو غيرها، بالتأكيد هذه مسألة جديدة وخطيرة وتؤدي لضجة تشجع الأوباش والمتراجعين، بإعتقادي لطفي الخولي معتمد على هذا. من اجل ذلك أقول أن السقف الفلسطيني المتدني للمفاوض الفلسطيني مشكلة تذكروا عندما توترت الأوضاع في فلسطين، وقتها قال الخولي في حديث لمجلة «المصور»: «إن الأسلوب الإسرائيلي يضايقنا ويبدو إننا سننسحب من بيان كوبنهاجن»، بعد اسبوعين عاد وعمل تصريحاً شبه إعتذاري.

في كل الأحوال أؤكد على الفكرة القائلة بعدم المبالغة في التطبيع على الصعيد الثقافي لأن هذا ليس أهم المجالات، لاشك أنه مهم لحماية الهوية والوعي لكن يجب الإنتباه للجوانب الأخرى. يا أخي الأردن داخل في ما يشبه الوحدة مع إسرائيل. فلندقق في تصريح الملك حسين عندما اشترط إقالة رئيس المخابرات الإسرائيلية لعودة العلاقات الأمنية بشكل جيد بين الطرفين، كلام غير معقول، وهذا ما يوحي بحجم العلاقة وعمقها، الأمر الذي جعل نتنياهو يقيل رئيس المخابرات فعلاً. بالتأكيد أن هناك عوامل داخلية هامة لعبت دورها هنا، لكن واضح أيضاً أن التعاون بين البلدين وخصوصاً في المجال الأمني، غني ومفيد لإسرائيل لدرجة إنها تقيل رئيس مخابراتها استرضاءً للملك.. ■■

«الطباخ الأمريكي أفسد الطبخة»

عمر قطيش

حتى تاريخ كتابة هذه السطور لم ينه الأمين العام للأمم المتحدة زيارته الحالية لمنطقة الشرق الأوسط والتي شملت حتى الآن أربع عواصم هي عمان، والقاهرة، وبيروت، ودمشق ويبقى أمامها كما هو مقرر محطتان وهما القدس المحتلة ومدينة غزة.

وهي الزيارة الثانية لكوفي أنان للمنطقة في غضون شهر تقريباً، عقب زيارته الأولى والتي توصل خلالها إلى توقيع إتفاق بين الأمم المتحدة والعراق والذي أزيح بموجبه (ولو إلى حين) شبح عدوان عسكري أمريكي ـ بريطاني جديد ضد العراق.

وقد قوبلت تلك الزيارة، وذلك الإتفاق بترحاب شديد في معظم الأوساط العربية، والإقليمية والدولية التي كان لها الفضل أيضاً في نجاح كوفي عنان.

ولايرجع السبب في ذلك الترحاب فقط إلى تجنب خطر المواجهة العسكرية بل يرجع (وهذا هو الأهم) إلى التقليل من تحكم واشنطن بملف ما بات يعرف بأزمة الخليج، وإعادته ولو بشكل غير كامل إلى مجلس الأمن الدولي المنقسم على ذاته بصدد السبيل الأمثل لإغلاق هذا الملف الذي جنت واشنطن من جراء فتحه ولاتزال الشيء الكثير.

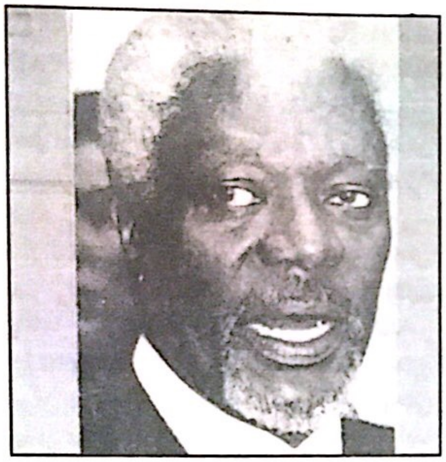
ولم يقتصر ضرره على العراق، وشعبه وعموم المنطقة العربية فقط، وإنما طال أيضاً مصالح حيوية من بلدان العالم بما فيها بعض الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن كفرنسا وروسيا والصين.

وتأسيساً على ذلك النجاح الذي حققه كوفي أنان تطلعت إليه الأنظار مجدداً راجية أن يلقى ملف «أزمة الشرق الأوسط» المزمن والذي لايقل خطورة عن ملف «أزمة الخليج» من طرفه الإهتمام الذي يستحقه.

خصوصاً وأن هذا الملف الذي تستأثر به واشنطن دون غيرها، ومنذ سنوات يسير من سيء إلى اسوأ وبات على وشك أن يلفظ أنفاسه الأخيرة وذلك باعتراف معظم الأطراف المحلية، والعربية والإقليمية والدولية التي أيدت وعن طيب خاطر رعاية الولايات المتحدة الأمريكية وحتى تفردها في شؤون وشجون هذا الملف ومنذ مؤتمر مدريد.

ولم تدّخر تلك الأطراف جهداً إلا وبذلته لإنجاح المساعي، والجهود الأمريكية الرامية إلى إيجاد حل للصراع العربي ـ الصهيوني وفي القلب منه الصراع الفلسطيني ـ الصهيوني.

وتعترف الآن تلك الأطراف مجتمعة باستثناء واشنطن وتل أبيب بالمأزق الخطر وربما القاتل الذي تواجهه مسيرة السلام المزعوم وعلى كل



المسارات التي تقودها واشنطن، وترعاها.

كما تعترف أيضاً سراً وعلانية بأن المسؤول عن هذا المصير البائس والمتردي لعملية «السلام» في الشرق الأوسط هو «إسرائيل» بالدرجة الأولى، وواشنطن المنحازة تماماً إلى جانب حليفها الإستراتيجي في المنطقة بالدرجة الثانية فإسرائيل توغل أكثر فأكثر بإدارة ظهرها لقرارات الشرعية الدولية التي شكلت الأساس لإنطلاق عملية السلام الراهنة. وترتد حتى عما جرى الإتفاق عليه مع الفلسطينيين في أوسلو، وطابا وغيرها رغم هزالة تلك الإتفاقات وإجحافها بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني.

وأمريكا بدورها تواصل انحيازها السافر والمكشوف إلى جانب إسرائيل من جهة وتواصل ضغطها على العرب والفلسطينيين كي تجبرهم على تقديم المزيد من التنازلات لصالح عملية «السلام» في طريقها من جهة ثانية.

وهو الأمر الذي دفع بالعديد من اصدقاء أمريكا من العرب إلى رفع صوتها، وزيادة وتيرة نقدها المعلن للموقف الأمريكي المنحاز هذا والذي وصف وعن وجه حق بالمكاييل المزدوجة من قضية فرض وتطبيق قرارات الشرعية الدولية في المنطقة.

وهو اتهام صحيح على الرغم من نفي الإدارة الأمريكية المتواصل له ونجد حجته الدامغة في المواقف الأمريكية المتناقضة من ذات القضية.

إذ في الوقت الذي لاتكتفي واشنطن فيه بمطالبة العراق وبإصرار على تطبيق قرارات الشرعية الدولية وبحذافيرها وبالتفسير الأمريكي لها، بل تحشد جيوشها لإرغام العراق على الإذعان.

في ذات الوقت لاتحرك ساكناً لإجبار «إسرائيل» على التقيد ببعض قرارات تلك الشرعية ليس هذا فحسب بل إنها تجد تفسيراً للموقف الإسرائيلي الرافض لتطبيق تلك القرارات مفاده بأن تلك القرارات كانت منحازة للعرب بفعل عداء المؤسسات الدولية لإسرائيل كما صرح بذلك اكثر من مسؤول أمريكي في معرض رده على اتهام الادارة الأمريكية باتباع معايير مزدوجة إزاء إلزام كل من العراق وإسرائيل على التقيد بقرارات الشرعية الدولية وبلغت الوقاحة ببعض المسؤولين الأمريكيين حد الإدعاء بأن إسرائيل «تطبق القرارات الدولية»...؟! دون أن يكلفوا أنفسهم عناء الإشارة لتلك القرارات الدولية التي طبقتها إسرائيل منذ تأسيسها حتى الآن باستثناء ما هو لصالحها.

إن الأوضاع المزرية والمتردية، وعلى كل المسارات المتعلقة بعملية السلام المزعوم في ظل التفرد والرعاية الأمريكية الصافية، والتي اختبرت وعلى الأرض وعلى مدار سبع سنوات تقريباً حدت بالعديد من الأطراف العربية، والإقليمية والدولية إلى المطالبة بالعمل على تحرير ملف التسوية في الشرق الأوسط من القبضة الأمريكية وإعادته إلى قبضة هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي، وهما الهيئتان اللتان اتخذتا كل القرارات التي ينبغي الإستناد إليها في حل هذه الأزمة المزمنة والمتفاقمة.

وفي هذا السياق، ومن على هذه الأرضية ومن أجل هذا الهدف رحبت وما تزال الكثير من الأطراف المحلية والعربية، والإقليمية والدولية المهتمة بهذا الملف بالزيارة الحالية التي يقوم بها الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان لمنطقة الشرق الأوسط.

غير أن الولايات المتحدة ومعها «اسرائيل» الحريصتين كل الحرص على إستبعاد أي دور للأمم المتحدة في عملية السلام في الشرق الأوسط واللتين لم يعد بمقدورهما الحفاظ على عملية الإستبعاد تلك في ظل الضغوط المحلية والعربية، والإقليمية والدولية المتزايدة والمطالبة بأن تلعب الأمم المتحدة الدور المطلوب منها في إيجاد حل لهذا الصراع عملتا على إفراغ هذه الزيارة من زخمها ومن ثم تحويلها لصالح موقفهما الرامي إلى استمرار عملية الإستبعاد أي تدخل الأمم المتحدة في شؤون هذا الملف.

ويبدو للأسف الشديد أن الأمين العام للأمم المتحدة قد إستجاب للرغبة الأمريكية «الإسرائيلية» هذه ولأسباب غير مفهومة أو مبررة أو حتى مقبولة برأيي وهو استخلاص لا أطلقه جزافاً، أو من باب التجني على الأمين العام للأمم المتحدة أو من جهة رفضي لقيام الأمم المتحدة بالدور الذي ينبغي عليها القيام به ومنذ عقود عديدة. ويجد هذا الإستخلاص دليله القاطع في مضمون الحوار التالي بين كل من وزير الخارجية المصري عمرو موسى والأمين العام للأمم المتحدة

كوفي أنان.

قال موسى في ختام غداء عمل بين الرئيس المصري حسني مبارك وكوفي أنان مايلي:

«لايمكن فصل عملية السلام في الشرق الأوسط عن الأمم المتحدة إلا إذا كان هناك مفاوضات مباشرة، وتقدم في هذه المفاوضات».

واضاف مخاطباً أنان:

«نحن لانتكلم فقط عن دور الأمين العام وإنما عن دور الأمم المتحدة كمؤسسة دولية لها ميثاق واضح، واتخذت قرارات واضحة سواءً على صعيد مجلس الأمن أو الجمعية العامة».

ورد أنان على ذلك القول في إجابته على سؤال صحافي وجه إليه عقب إختتام محادثاته مع المسؤولين المصريين قائلاً:

«لاأعتقد أنه من الملائم بالنسبة لي طرح مقترحات جديدة في عملية تلعب الولايات المتحدة فيها دور الوسيط بموافقة الأطراف المعنية».

وأضاف «أنا هنا كي أشجع المسؤولين على المضي قدماً على طريق السلام، والعمل مع الإدارة الأمريكية».

وتمنى أنان في تصريحات أخرى له عقب محادثاته مع وزير الخارجية اللبناني فارس بويز «أن تثمر الجهود التي تقوم بها الولايات المتحدة باعتبارها الوسيط الذي يجب أن ندعمه ليقوم بعمله فإذا كثر الطباخون تفسد الطبخة».

وقد كانت تصريحات أنان هذه موضع ترحاب في كل من واشنطن وتل أبيب.

والسؤال الإبتدائي الذي أطرحه على الأمين العام للأمم المتحدة والسفير المخضرم فيها، وعلى كل المعنيين بملف أزمة الشرق الأوسط هو:

ألم تفسد الطبخة بعد؟

باعتقادي المتواضع أنها فسدت «وشاطت» وإحترقت ولكن ليس بسبب «كثرة الطباخين» كما يقول مأثورنا الشعبي، وإنما بسبب رداءة الطباخ الأمريكي الذي أخل بموازين المقادير الضرورية التي تراعي مصالح كل أطراف تلك الطبخة إذ أكثر الطباخ الأمريكي من وضع مقادير من المصالح الإسرائيلية والأمريكية في قِدْر تلك الطبخة، وتجاهل إلى حدٍ بعيد إضافة المقادير الضرورية من المصالح الفلسطينية والعربية ولو بالحد الأدنى. وبذلك فقدت تلك الطبخة عناصر توازنها وغدت طبخة إسرائيلية ـ أمريكية من حيث الشكل والمضمون واللون والرائحة والنكهة، ولم تعد صالحة لتؤكل على المائدة العربية.

أجل لقد افسد الطباخ الأمريكي بتفرده وإنحيازه السافر والمكشوف إلى جانب المصالح الإسرائيلية ناهيك عن مصالحه هو طبخة ما يسمى بعملية السلام في الشرق الأوسط.

ولا أعتقد البتة بأن منحه الثقة مجدداً وعقد لواء الطبخ له مجدداً في الشرق كما يدعي كوفي أنان سيصلح طبخ أوضاع المنطقة مجدداً وإنما سيزيده فساداً على فساد وتأزماً على تأزم.

لقد آن الأوان، واليوم قبل غدٍ أن يقال وبوضوح شديد للطباخ الأمريكي لقد أفسدت كل شيء ولم يعد أمامك سوى التنحي عن هذه المهمة وترك عملية طبخ التسوية في الشرق الأوسط إلى هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي ومؤسسات الأسرة الدولية.

وهو قول لن تقبل به واشنطن إلا رغماً عنها وبفعل تضافر كل الجهود الفلسطينية والعربية، والإقليمية والعالمية.

ولعل نقطة البداية في تحرير ملف أزمة الشرق من براثن الأخطبوط الأمريكي تتمثل بسحب الأطراف الفلسطينية والعربية، والدولية للتفويض الذي منحته لواشنطن في إدارة عملية تسوية الصراع في الشرق الأوسط.

إذ مثل هذا التفويض ولايزال الحجة الأقوى للأمين العام للأمم المتحدة في تعليله لعزوفه عن القيام بالدور المطلوب منه ومن الأمم المتحدة كمؤسسة لها ميثاق وقرارات ينبغي إحترامها والعمل على تطبيقها وخصوصاً من قبل «إسرائيل».

فهل تجرؤ الأطراف الفلسطينية والعربية على المطالبة بإخراج ملف الصراع في الشرق الأوسط من حبائل الشباك الأمريكية، وإعادته إلى ردهات وقاعات مجلس الأمن والجمعية العامة؟

هذا ما أدعو إليه وأرنو ويرنو الكثيرون معي إليه لأنه في حال حدوثه سيكون متكأً هاماً لإنهاء هذه المهزلة.

مذكرة من اللاجئين الفلسطينيين في سوريا لكوفي أنان بمناسبة زيارته لدمشق

وجه اللاجئون الفلسطينيون في سوريا مذكرة للأمين العام للأمم المتحدة أثناء وجوده في دمشق وفيما يلي أبرز ما ورد فيها:

السيد كوفي أنان الأمين العام للأمم المتحدة:

نحن اللاجئين الفلسطينيين المقيمين في سوريا منذ خمسين عاماً نغتنم فرصة زيارتكم لدمشق لنخاطبكم من موقعكم كأمين عام للأمم المتحدة ولنتقدم إليكم بعدد من القضايا التي نأمل أن تكون محل إهتمامكم:

١ـ لقد انقضى على ابعادنا عن وطننا خمسون عاماً كاملة، وهي خمسون عاماً من الحرمان لأجيال متعاقبة من أبسط حقوق الإنسان في أن يعيش على ارض وطنه يطوره ويتطور معه.

وهي أيضاً خمسون عاماً ونيف منذ صدور قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٤ (د ـ ٣) بتاريخ ٤٨/١٢/١١ الذي ينص على حق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم وممتلكاتهم، وما تزال الأمم المتحدة إلى الآن عاجزة عن وضع هذا القرار موضع التطبيق العملي، وتستمر إسرائيل في التنكر له بالرغم من انه يشكل جزءاً من أوراق اعتمادها كدولة في الأمم المتحدة.

إننا نعبر لكم عن تمسكنا بحقنا الثابت في العودة إلى ديارنا وممتلكاتنا، ورفضنا لأي محاولة لتوطيننا خارج أرض وطننا فلسطين، وندعوكم من موقع مسؤوليتكم، ومن موقع الدور المناط بالأمم المتحدة إلى دعم نضال شعبنا وأبنائه من اللاجئين من أجل عودته إلى وطنه، والعمل مع كل الأطراف المعنية للضغط على الحكومة الإسرائيلية لتنفيذ القرار الدولي ١٩٤ (د ـ ٣)

٢ـ تواصل الحكومة الإسرائيلية سياستها التعسفية في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ فتستمر في سياسة مصادرة الأراضي وبناء المستوطنات وضم القدس الشرقية. كما تواصل سياسة العقوبات الجماعية وكل هذا نقيض لقرارات الشرعية الدولية. إننا ندعوكم لأن تاخذ الأمم المتحدة دورها إزاء هذه السياسة الإسرائيلية وإلزام الحكومة الإسرائيلية بتنفيذ القرارات الصادرة عن مجلس الأمن بهذا الخصوص والعمل لتطبيق قرارات الشرعية الدولية بشأن الأراضي التي احتلتها اسرائيل بعدوان ٥ حزيران ٦٧ والتقدم نحو تسوية سياسية في المنطقة تقوم على أساس قرارات الشرعية الدولية ومبدأ الأرض مقابل السلام ويضمن حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني فوق ترابه الوطني. ورفض التوطين للاجئين الفلسطينيين في أقطار الشتات وضمان عودتهم إلى أرضهم.

٣ـ تواصل الأونروا الوكالة الدولية الخاصة باللاجئين الفلسطينيين المشكلة بقرار الجمعية العام ٣٠٢ (د ـ ٣) بتاريخ ٤٩/١٢/٨ لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، تواصل سياسة تخفيض منتظم في برامج خدماتها التعليمية والصحية والإغاثة والخدمات الإجتماعية. وتطال هذه التخفيضات احتياجات أساسية للاجئين.

إن هذه السياسة تثير مخاوف شديدة وقلقاً بالغاً في أوساط اللاجئين. ليس فقط لجهة زيادة معاناتهم الحياتية والإنسانية، بل وبالدرجة الأساسية إزاء تراجع المجتمع الدولي عن مسؤوليته إزاء تطبيق القرار الدولي ١٩٤ (د ـ ٣). إننا نعبر لكم عن تمسكنا باستمرار بقاء أونروا كوكالة دولية تعبر عن إستمرار التزام المجتمع الدولي بحق اللاجئين في العودة وإلى أن يتم تطبيق القرار ١٩٤. وتمسكنا بضرورة استمرار أونروا في تقديم خدماتها بكفاءة وبمستوى يؤمن حاجات مجتمع اللاجئين الحياتية، وندعو إلى وقف التخفيض الجاري في برامج خدماتها وإلى تحسينها.

أخيراً نعبر لكم عن أن سلاماً متوازناً في منطقتنا يتحقق فقط من خلال إحترام قرارات الشرعية الدولية وتطبيقها وبدون ذلك فإن المنطقة والعالم بأسره ستبقى معرضة لحالة عدم الإستقرار.

مع خالص التحية والتقدير

جولة روبن كوك

حنين لدور بريطانيا المفقود!

ناصر أبو العلا



أثارت زيارة وزير الخارجية البريطاني روبن كوك للمنطقة، أكثر من إشارة ذات دلالة، لجهة دور جديد لبريطانيا في الشرق الأوسط، بعد عزلة طويلة تراجع خلالها الدور البريطاني لسنواتٍ طويلة، لصالح التفرّد الأمريكي الذي سلّمت له بريطانيا، ومعها أوربا، بكونه اللاعب الأساسي الذي يرسم استراتيجيات التعامل الغربي مع المنطقة، فيما اكتفت هي والشركاءالأوروبيون الآخرون، بدور المموّل، لعملية التسوية، التي رعتها الولايات المتحدة تلك الرعاية السياسية التي تميّزت بالإنحياز الكامل والدائم، على طول الخط إلى جانب اسرئيل.

هذه الصحوة البريطانية المفاجئة، لضرورة ممارسة دور سياسي فعّال في المنطقة، لاتعني بأي حال من الأحوال، أن بريطانيا (التي تماهت سياستها مع السياسة الأمريكية إلى حد التطابق في كثير من المواقف) تسعى حالياً إلى سياسة معارضة، أو متمايزة عن السياسة الأمريكية، بل نكاد نقول: إن جولة كوك، التي أرادتها بريطانيا تمهيداً لزيارة طوني بلير رئيس الوزراء إلى المنطقة في منتصف نيسان القادم، ربما تأتي، في إطار التفاهم الداخلي الأمريكي ـ البريطاني لإنقاذ عملية التسوية التي بدأت تلفظ أنفاسها الأخيرة، وأيضاً لإنقاذ الدور الأمريكي، الذي أُصيب بالعطالة والفشل الذريع بعد أن اهتزت مصداقيته في الأوساط العربية بسبب التعنّت الإسرائيلي وبسبب المعايير المزدوجة التي تتعامل فيها الولايات المتحدة مع قضايا المنطقة.

أيضاً، الكلام السابق لايعني أن بريطانيا ليس لها مصالح ذاتية خاصة بها، لجهة رغبتها في إستعادة دورها المفقود، ورغبتها في تحسين صورتها في العالم العربي، بعد أن اهتزت هذه الصورة نتيجة موقفها الأخير من الأزمة العراقية، هذا الموقف الذي بدا نشازاً عن الموقف الأوروبي، وخصوصاً الفرنسي، الذي تمايز إلى هذا الحد أو ذاك عن الموقف الأمريكي. إذا أضفنا إلى ذلك رغبة بريطانيا في أخذ حصتها كاملة من مشاريع المنطقة الإقتصادية، وضغط أصحاب الشركات ورجال الأعمال البريطانيين على الحكومة بهذا الإتجاه، فإننا نجد سبباً إضافياً لهذا التحرّك.

الآن، لو حاولنا تحليل فحوى التحرّك البريطاني، نجده يقتصر على مجرّد أفكار لتحريك المفاوضات المجمّدة، وخاصة علىالمسار الإسرائيلي ـ الفلسطيني، لكن هذه الأفكار لاترتقي على أية حال، إلى مستوىتقديم مبادرة خاصة، وإنما ـ وحسب تصريحات المسؤولين البريطانيين أنفسهم ـ تأتي في سياق موقف أوربي عام، يكمّل الدور الأمريكي بدليل أن

المبادرة الأوروبية التي قيل أنها مؤلفة من ست نقاط، حملها المبعوث الأوروبي «موراتينوس» إلى واشنطن قبل أن يتوجّه بها إلى الأطراف المعنية في المنطقة، مما يؤكد التسليم البريطاني ومعه الأوروبي بالدور الأمريكي الأول وإن تمايزت بعض مواقف هذا البلد الأوروبي أو ذاك.

زوبعة أبو غنيم

إذا دقّقنا في الأفكار الرئيسية التي يستند إليها الموقف البريطاني ومرجعياته، نجد أن لاجديد على صعيد الأفكار أو المرجعيات وهي: (اتفاق أوسلو، ومبدأ الأرض مقابل السلام، واحترام القانون الدولي، بما فيه قرار مجلس الأمن / ٢٤٢) ومن المفترض أن تكون هذه المرجعيات من البديهيات، التي تمّ حسم التفاهم حولها، لو أن الأمر يجري بصورته الطبيعية، لكن التعنّت الإسرائيلي،يعيد الأمر في كل مرة إلى نقطة الصفر، ويعيد النقاش إلى التفصيلات الصغيرة التي أغرقت مجمل عملية التسوية، في متاهات بعيدة كل البعد عن تناول القضايا الجوهرية.

إذاً، ما هو الجديد الذي أثار تلك الزوبعة التي أحيطت بها زيارة كوك لجبل أبو غنيم، وهل يستحق الأمر، كل هذا الغضب الإسرائيلي؟! وبالمقابل هل يستحق كل هذاالترحيب العربي؟!

بصراحة، لايمكننا أن ننسى ببساطة أن بريطانيا هي المسؤولة تاريخياً عن نشوء هذا الكيان، مثلما لايمكن أن ننسى، موقفها الذي تمادى في عدائيته منذ أيام ضد العراق، حيث وصل في إندفاعه إلى درجة التبنّي الكامل للموقف الأمريكي.

ربما، الجديد الذي أثار حفيظة الإسرائيليين في تحرّك كوك هو: الآلية التي طرحهاأثناء جولته، والتي تهدف كما قال: «إلى إعادة بناء الثقة»، إن تحقيق هذا الهدف، يحتاج برأيه «إلى خطوات عاجلة، منها: إعادة انتشار اسرائيلية كبيرة، جديرة بالثقة وملحة في الضفة الغربية، يرافقها التزام فلسطيني موازٍ ببذل جهود كبيرة على صعيد الأمن، كذلك وقف توسيع المستوطنات الإسرائيلية»، وللإنسجام مع هذا التصور، ولإعطاء شيء من المصداقية لموقفه أراد في البداية ان يزور جبل أبو غنيم انطلاقاً من أراضي الحكم الذاتي، وبمرافقة فيصل الحسيني، والغاية توجيه رسالة واضحة للإسرائيليين عن رفض الأوروبيين لإستمرار الإستيطان، لكنه ونتيجة الإحتجاج الإسرائيلي، تراجع عن مرافقة الحسيني في تلك الزيارة، ووافق على مرافقة مسؤولين اسرائيليين إلى هذا الموقع كحل وسط أراد منه امتصاص الغضب الإسرائيلي. إذاً لايحتاج الأمر، إلى أن نندفع عاطفياً إلى درجة الإنقلاب في المواقف مائة وثمانين درجة، متناسين كل تعقيدات المسألة وخلفياتها ودوافعها، هذا لايعني أننا لانرى التمايزات التفصيلية بين هذا الموقف أو ذاك، لكن ليس المطلوب تحميل الأمر أكثر مما يحتمل لأن الدور الأوروبي، ومعه البريطاني يبقى بكل الأحوال رديفاً للموقف الأمريكي، وداعماً له، وإذا كنا نطالب بدور أكبر ومستقل لأوربا، بما ينسجم مع مصالحها التاريخية الخاصة في المنطقة، فإن الأوروبيين يعون تماماً تلك المصالح، ويعرفون أن دورهم السياسي لايتناسب مع دورهم المالي الداعم لقضية التسوية، حيث وصل إلى ضعف الدعم المالي الذي قدمته الولايات المتحدة. من هنا يقتضي تشابك مصالحهم التاريخية مع المنطقة أن يلعبوا دوراً أكبر، لكن القاصي والداني، يعرف أن إسرائيل وأمريكا هما العائق أمام مثل هذا الدور الأوروبي، بينما العرب على العكس من ذلك، من مصلحتهم أن يكون لأوروبا دور فاعل، ومستقل عن الدور الأمريكي، بشكلٍ يخلق معه توازنات أفضل في المنطقة، لكن هل بالإمكان أن يتحقق هذا عملياً؟ نحن نشك في ذلك، رغم كل الصخب الإعلامي الذي أحاط بزيارة كوك إلى المنطقة.

من زاوية أخرى يمكن القول: أن زيارة كوك قد نجحت بشكل عملي في تهدئة خواطر السلطة الفلسطينية التي يعرف الأوروبيون أنها بحاجة لمساعدات مالية لدعم عملية التسوية، خاصة وأن دخل العائلة الفلسطينية (حسب البريطانيين أنفسهم) قد انخفض إلى الثلث منذ العام ١٩٩٣، وبهذا الإطار أعلن كوك أن الإتحاد الأوروبي سيقدم للفلسطينيين أكثر من ثمانية ملايين دولار لتعزيز قواتهم الأمنية، ومن ضمن ما أعلنه أن الإتحاد الأوروبي والفلسطينيين توصلا إلى اتفاق على تشكيل لجنة أمنية دائمة تبحث في كيفية التعاون وتبادل المعلومات لتحسين الأمن، إن ربط المساعدات المالية الأوروبية بتعزيز قوات الأمن الفلسطينية يتناقض مع الترويج لفكرة رفع المستوى المعيشي للعائلات الفلسطينية، وتحسين الإقتصاد الفلسطيني، ذلك لأن تعزيز الأجهزة الأمنية، لن يحسّن بالضرورة الشروط المادية للناس العاديين، وإن يكن سيحسّن أداء الأجهزة الأمنية الفلسطينية، وينمّي قدرتها على ضبط الشارع الفلسطيني.

الهدف الثالث للزيارة، وحسب كوك نفسه «بذل جهد دبلوماسي مكثّف» حيث دعا إلى ضرورة تواصل جهود «الولايات المتحدة، وأوروبا والعمل من أجل السلام»... هذا الهدف يمكن ربطه بجولة الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان إلى المنطقة، والتي تصب هي الأخرى في نفس الإطار... ويمكن أيضاً ربطها بالجولة الجديدة، لمنسّق عملية السلام الأمريكي دينس روس، الذي يحمل - كما قيل - في جعبته - هذه المرة - مبادرة من عدة نقاط يمكن على أساسها إعادة إطلاق عملية المفاوضات مجدداً، ورغم أن إسرائيل سارعت إلى الرفض المسبق لأي مبادرة لاتنسجم مع مصالحها وتصوراتها إلا أن الأمريكيين، وكالعادة يرسلون مبعوثيهم إلى المنطقة لذر الرماد في العيون، وحتى لا يُقال إن عملية التسوية مجمّدة. لكن أية حركة هذه التي تدور في المكان، وأية شروط هذه التي يحملها دينس روس معه، وإلى اي حد يمكن أن تكون مبادرته الجديدة هي حصيلة ما توصل إليه كل من كوك كممثّل للاوروبيين، وكوفي أنان كممثّل للأمم المتحدة؟ وهل ثمة توليفة جديدة يراد طبخها، أم أن الأمر مجرّد جولات مكوكية عبثية جديدة، يراد منها فقط ملء الفراغ، وتمرير عامل الزمن؟!

إن مسارعة «أولبرايت» إلى القول: إننا لانريد الضغط على أي من الطرفين، وعلى قادة المنطقة اتخاذ المواقف الصعبة بأنفسهم له تفسير واحد، وهو عدم رغبة أمريكا في الضغط على إسرائيل لحملها على احترام قرارات الشرعية الدولية والإتفاقيات الموقّعة، لأن إسرائيل هي الطرف الوحيد المعرقل لأي تقدم، وهنا تظهر إزدواجية المعايير الأمريكية على نحو واضح.

من ناحية أخرى، كشفت زيارة كوك، وبعده كوفي أنان إلى كل من سورية ولبنان، فشل إسرائيل في الترويج لإعادة النقاش حول شروط تطبيق القرار ٤٢٥ ومحاولة فصل المسار السوري، عن المسار اللبناني، وقد أبدى كوك تفهّماً للموقف السوري واللبناني بالقول: «نود أن يطبّق (القرار ٤٢٥) في إطار تسوية شاملة، تمكن من تحقيق تقدم في عملية السلام على جميع المسارات، وليس مساراً واحداً...».

إن عمق الموقف السوري، ووضوحه وقوة إقناعه، إضافةً إلى تصلّب الموقف اللبناني أبطل مفاعيل المناورات الإسرائيلية، وكشف ألاعيبها على هذا الصعيد، لذلك ما كان أمام كوك، أو غيره سوى الإعتراف بذلك بالقول: «إن لندن تدعم الجهود الرامية لإيجاد طريقة لكسر الجمود على المسار السوري، وإجراء مفاوضات جديّة على أساس قرارات مجلس الأمن الدولي ومبدأ الأرض مقابل السلام» ■■



الأبعاد الحقيقية للرواية الاسرائيلية لاعادة الانتشار الثانية

الوطن المحتل

في الثلث الأخير من تشرين ثاني الماضي، وبعد عودته من زيارته إلى كل من بريطانيا والولايات المتحدة، أعلن بنيامين نتنياهو، انه يبحث مع وزرائه في بلورة مشروع اقتراح / مبادرة، لاعادة انتشار القوات الاسرائيلية في مناطق ب + ج في الضفة. الصحف الاسرائيلية ذكرت في اليوم الثاني أن مشروع نتنياهو يقوم على أساس انسحاب جزئي، مشروط، ولمرة واحدة، عن مساحة تتراوح بين ٦٪-٨٪ من مساحة الضفة الفلسطينية.

الأحزاب السياسية الاسرائيلية التي يتشكل منها الائتلاف الحكومي أثارت على الفور ضجيجاً وصخباً عالياً، وشرع بعضها بإطلاق التهديدات باسقاط الحكومة ورئيسها، إن هو أقدم على القيام بتسليم أي مساحة من «أرض اسرائيل» إلى الفلسطينيين. وقد تفرد ديفيد ليفي وزير الخارجية الاسرائيلي، رئيس حزب «جيشر» بإطلاق تصريحات تهدد بالانسحاب من الحكومة، ان هي لم تتخذ خطوات لدفع «عملية السلام إلى الأمام». وشاركت أحزاب المعارضة السياسية الاسرائيلية في الجلبة التي أحدثها اعلان نتنياهو عن نيته، اعادة الانتشار في بعض مناطق الضفة. ودخلت بازار الحديث عن المساحة التي يتوجب انسحاب قوات الاحتلال الاسرائيلي عنها. وبالطبع فقد تباينت مواقف أحزاب المعارضة، ففيما أعلنت حركة ميرتس انها ستطرح الثقة بحكومة نتنياهو، على خلفية اقتراح نتنياهو، ذهب يهود باراك زعيم حزب العمل، إلى المطالبة بزيادة المساحة المطلوب اعادة انتشار القوات الاسرائيلية عنها، لتكون بحدود ١٠٪-١٢٪ وركز في أحاديثه وتصريحاته، على ان الادارة الأمريكية ستقوم بممارسة الضغط على حكومة نتنياهو، لتوسيع المناطق المنوي الانسحاب عنها، لتصل إلى النسبة المذكورة أعلاه.

وبعيداً عن التفاصيل المتعلقة بمواقف الأحزاب الاسرائيلية المشاركة في الائتلاف الحكومي، أو المنضوية في اطار المعارضة، نشير إلى قيام رئيس الوزراء الاسرائيلي بعقد سلسلة من اللقاءات والمساومات، مع أطراف الائتلاف الحكومي اليميني، لضمان تأييدها لمشروعه في جلسة الحكومة الاسرائيلية. وفي الثلاثين من تشرين ثاني المنصرم، أعلنت الحكومة الاسرائيلية. في أعقاب اجتماع استمر ست ساعات متواصلة، موافقة ستة عشر وزيراً على اقتراح نتنياهو، فيما امتنع وزيران عن التصويت. وكان الاعلان عن الموافقة شبه الجماعية، بشأن استعداد الحكومة اليمينية المتطرفة، للقيام بعملية انسحاب عسكري، محدود، مشروط، ولمرة واحدة، أمراً مفاجئاً، للأوساط السياسية والصحفية والاعلامية المحلية والاقليمية والدولية. فالكل كان يعتقد بأن نتنياهو سيواجه صعوبة بالغة في استصدار قرار بإعادة انتشار القوات الاسرائيلية، عن بعض المناطق، حتى لو كانت المساحات المقترحة ضئيلة جداً، لأنه ربما يقامر بالائتلاف الحكومي المؤلف من قوى يمينية ودينية متطرفة، وإذا استطاع استصدار قرار بإعادة الانتشار، فإنه سيكون بأغلبية بسيطة جداً، لا تتجاوز موافقة عشرة إلى اثني عشر وزيراً.

ولهذا السبب بالذات ثارت شكوك حقيقية وواسعة في الأوساط السياسية والصحفية والاعلامية، حول نوايا الحكومة الاسرائيلية، وحقيقة القرار الصادر عنها، ومدى جديتها واستعدادها لتنفيذه. فالكثيرون يعتقدون، بأن حكومة تل أبيب، غير جادة في اعادة الانتشار، وأنها تمارس تكتيكاً سياسياً لا أكثر من ذلك ولا أقل. ففي ضوء تصاعد الحملات الاعلامية، والضغوط السياسية التي تتعرض لها الحكومة الاسرائيلية، جراء سياساتها المتعنتة والمتصلبة والمتشددة، كان لابد من اتخاذ خطوة سياسية تكتيكية، لتخفيف حدة الضغوط والانتقادات المتزايدة والمتصاعدة التي أخذ يوجهها العالم كله لسياساتها، وخاصة تلك الانتقادات «الناعمة» الصادرة عن الادارة الأمريكية الحليف الاستراتيجي الثابت للحكومة الاسرائيلية والضامن الدائم لأمنها وتفوقها العسكري والاقتصادي، على كل جيرانها العرب، والمدافع عن سياساتها المستهترة بقرارات الشرعية الدولية. ويسوق المتشككون بقرارات ونوايا حكومة نتنياهو الكثير من الوقائع والأسباب، لتدعيم شكوكهم، ولاثبات صحة ما يذهبون إليه، ويبدأ هؤلاء بالتوقف أمام حبل طويل من الأكاذيب والأضاليل التي أقدم عليها رئيس الوزراء الاسرائيلي خلال سنة ونصف من اعتلائه سدة الحكم والمسؤولية، في مجال علاقاته المحلية والاقليمية والدولية وعلى كل المستويات، فالرجل كما أصبح معروفاً، يفتقد إلى أية مصداقية في علاقاته ووعوده، والالتزامات التي يقطعها على نفسه. وكثيرون هم الذين اضطروا إلى الاعراب عن خيبتهم وإظهار مدى دهشتهم علناً إزاء السياسة المناورة والمخادعة والمضللة التي يلجأ لها رئيس الوزراء. كما

تتوقف العديد من الأوساط السياسية والاعلامية طويلاً أمام تركيبة الحكومة الاسرائيلية المكونة من أحزاب يمينية ودينية متطرفة، وتؤكد هذه الأوساط ان هذه التركيبة بمواقفها السياسية الايديولوجية التوراتية المعروفة، لا يمكن أن تسمح بصدور مثل هذا القرار، لولا وجود تأكيدات من رئيس الوزراء والمجلس الوزاري المصغر، بأن هذا القرار ليس للتنفيذ، وأن الهدف الرئيسي وراء اصداره، هو التملص من الضغوط الدولية والأمريكية المتزايدة، ونقل الكرة إلى الملعب الفلسطيني. فالقرار الاسرائيلي، الذي لم يحدد رسمياً، حتى هذه اللحظة المساحة التي يتوجب اعادة الانتشار عنها، جاء مرفقاً بشروط استفزازية وتعجيزية، يكاد يكون مستحيلاً موافقة الجانب الفلسطيني عليها. ولعل أهم هذه الشروط وابرزها، قبول الجانب الفلسطيني، بالسكوت عن تواصل الاستيطان الصهيوني في الضفة، ورهن عملية التنفيذ، باختبار مدى جدية السلطة «بمكافحة الارهاب» لخمسة شهور متواصلة، يتقرر بعدها، اعتبار السلطة جادة بمكافحة الإرهاب أم مقصرة، وتستحق أن تكافأ أو تعاقب، وتحرم من إعادة الإنتشار. ويتبارى المسؤولون الإسرائيليون في تعداد القضايا المطلوب تنفيذها من قبل السلطة الفلسطينية خلال الشهور الخمسة المحددة. وكلها قضايا تمس بالكرامة الوطنية والشخصية، وتشرع الأبواب أمام صراع فلسطيني فلسطيني، تسعى الدوائر الإسرائيلية إلى إشعال فتيله منذ زمن طويل. ليس هذا فحسب، بل إن الحكومة الإسرائيلية تشترط تنفيذ إعادة الإنتشار التي لم تحدد نسبتها بعد، بموافقة الجانب الفلسطيني علىالغاء المرحلة التالية من اعادة الانتشار وربطها بمفاوضات الحل الدائم والنهائي حول قضايا القدس والإستيطان والحدود واللاجئين والمياه، كما تشترط اتمام إجراءات إلغاء الميثاق الوطني الفلسطيني، بدعوة المجلس المركزي إلى الإنعقاد لهذا الغرض.

وإذا كان منطوق الشروط التعجيزية المرفقة بالقرار الإسرائيلي، تشير بوضوح إلى حقيقة نوايا الحكومة الإسرائيلية وحقيقة مواقفها وألاعيبها الخبيثة، فإن تصريحات بعض المسؤولين الإسرائيليين تكشف بوضوح أشد عن الأهداف التكتيكية التي يسعى نتنياهو لبلوغها. فقد أعلن مسؤولون إسرائيليون ينتمون إلى الليكود وآخرون مشاركون في الإئتلاف الحكومي صراحة، أن قرار الحكومة الإسرائيلية بشأن إعادة الإنتشار، لايستوجب حجب الثقة عنها، لأن هذا القرار، لايغدو كونه كلاماً في الهواء، وأن القوات الإسرائيلية لن تنسحب من المناطق، كما جاء على لسان مخائيل كلاينر، أحد أبرز قادة جبهة أرض إسرائيل. وقد تحدثت تعليقات العديد من الصحف الإسرائيلية عن قرار الحكومة الإسرائيلية، مؤكدة أن الهدف من وراء هذا القرار هو نقل الكرة إلى الملعب الفلسطيني. واشارت مصادره في شعبة الإستخبارات العسكرية الإسرائيلية إلى أنه لن يكون بالإمكان تحريك مسيرة السلام مع الفلسطينيين على أساس القرار الذي اتخذته الحكومة الإسرائيلية. واضافت هذه المصادر ساخرة «أنه إذا ما استثنينا الطلب بأن يقوم عرفات بتلميع أحذية نتنياهو ووزرائه، فإن الحكومة تطالب الفلسطينيين بكل شيء تقريباً».

واللافت للنظر، هو أن مواقف وتصريحات رئيس الحكومة الإسرائيلية وأعضائها، عن النقاش الجاري على قدم وساق، حول إعادة الإنتشار والخرائط التي تحدد المناطق ذات الحيوية الأمنية التي يتوجب الإحتفاظ بها، يترافق مع نشاطات ميدانية استيطانية واسعة. فقد أكدت مصادر حكومية إسرائيلية أن رئيس الوزراء أعطى موافقته على شق طريق على امتداد غور الأردن، بطول ٨٠ كم، يمتد من شمال الضفة إلى جنوبها، وأن وزير الدفاع وافق على بناء وحدات سكنية جديدة في العديد من المستوطنات تتجاوز ٢٨٠٠ الفين وثمانماية وحدة جديدة، وجرى تحويل العديد من المعسكرات في منطقة الغور إلى مستوطنات زراعية. ليس هذا فحسب، بل تتوالى ايضاً أعمال المصادرة لمساحات واسعة من الأراضي، حيث استولى الجيش والمستوطنون على ثلاثة جبال إلى الشرق من نابلس، وأعلن رئيس بلدية القدس عن نيته توسيع حدود المدينة باتجاه المستوطنات في الضفة. وتتواصل في الوقت ذاته التعديات على أملاك الناس، فتقتلع الأشجار وتهدم المنازل بذرائع مختلفة، وتمنع السلطة الفلسطينية من إجراء التعداد العام في مدينة القدس، وعلى اية حال فقد مضى على قرار الحكومة الإسرائيلية إعادة الإنتشار أكثر من أسبوعين، من دون تحديد المساحة التي سيعاد الإنتشار عنها. فقد شكلت الحكومة طاقماً رباعياً مؤلفاً من رئيس الوزراء ومعه وزراء الخارجية والدفاع والبنى التحتية، لوضع خرائط إعادة الإنتشار وبلورة رؤية الحكومة الإسرائيلية لقضايا التسوية النهائية. وقد اجتمع الطاقم الوزاري الرباعي في المرة الأولى ولم يتمكن من الحسم في خرائط إعادة الإنتشار، فكلف وزيري الدفاع والبنى التحتية، اسحق مردخاي وشارون تشكيل طاقم مشترك لوضع الخرائط التي تحدد المصالح القومية والأمنية الإسرائيلية، وارتباطاً بذلك مواقع إعادة الإنتشار. ومع ذلك ظلت هناك وجهتا نظر وخريطتان الأولى لوزير الدفاع، والثانية لوزير البنى التحتية، واجتمعت الحكومة الإسرائيلية يوم الأحد ١٢/١٤ لساعات طويلة، خرج الناطق بلسانها ليعلن بأنها لم تتمكن من التوصل إلى قرار بشأن اعادة الإنتشار بسبب الإختلاف بين خرائط شارون ومردخاي. وقد قررت الحكومة تكليف الوزيرين مجدداً بإعداد مقترحات أكثر سهولة ليتم نقاشها يوم الثلاثاء ١٢/١٦، على أن يقوم الوزراء بالإطلاع ميدانياً على ما جاء في الخارطتين. وهكذا تتوالى جهود الحكومة الإسرائيلية الرامية إلى تنفيذ فصول أوسع مناورة ممكنة، تستهدف تضليل الرأي العام وخداع الأوساط السياسية والإعلامية، وصرف الأنظار عن القرارات الاساسية التي يتوجب على الحكومة الإسرائيلية اتخاذها والعمل على تنفيذها بموجب اتفاقية أوسلو. ففي مواجهة الضغوط السياسية والإعلامية التي تستعجل تحديد المساحة التي سيعاد الإنتشار عنها، لإعطاء العملية السياسية دفعة جديدة، قبل لقاء نتنياهو - أولبرايت وعرفات - أولبرايت في باريس ولندن، شدد نتنياهو التأكيد «على أن الحكومة الإسرائيلية ستأخذ الوقت الضروري لتحديد حجم إعادة الإنتشار العسكري الإسرائيلي في الضفة» رافضاً بذلك الضغوط التي تمارس لجعله يسارع في اتخاذ القرار، وأضاف «أن الحكومة ستجري سلسلة من المناقشات التي تأخذ بالإعتبار الحاجات الأمنية الإسرائيلية». وقال بصلافة وعنجهية «إننا لانعتزم الإنتحار لإرضاء أي كان، لأننا سنواجه مضاعفات قرار الإنسحاب وليس الأمريكيين أو الأوروبيين». ورداًعلى إعلان الإتحاد الأوروبي، بأنه سيواصل الضغط بكل ثقله السياسي والمعنوي لتنفيذ كل أحكام الإتفاقات التي جرى توقيعها، قالت وزارة الخارجية الإسرائيلية في بيانها «أن الإتحاد الأوروبي يحاول فرض وجهة نظره المنحازة، ويستبعد نفسه من أي عمل إيجابي في عملية السلام».

والحقيقة هي أن الحكومة الإسرائيلية بقرارها إعادة الإنتشار من غير تحديد نسبة الأراضي التي سيجلو عنها الجيش الإسرائيلي، وتسريب الأخبار بذات الوقت للصحافة، عن نيتها إعادة الإنتشار عن مساحة تساوي ٨٪، إنما أرادت إطلاق بالون اختبار لقياس ردود الفعل الأمريكية أولاً والأوروبية والعربية ثانياً قبل إعلان قرارها الحاسم بشأن مدى إنسحابها المشروط ولمرة واحدة. وهذه الحقيقة لاتعني بالطبع أن الحكومة الإسرائيلية لاتشهد خلافات داخلية حول مبدأ القبول بمبدأ الإنتشار من جهة، وحول مدى وحجم إعادة الإنتشار من جهة أخرى فالوقائع تشير إلى وجود خلافات حول مساحة إعادة الإنتشار، ومساحة المناطق الأمنية التي يتوجب على الكيان الصهيوني الإحتفاظ بها على طول نهر الأردن وعلى امتداد

الخط الأخضر، فضلاً عن الإحتفاظ بالقدس والمستوطنات والمعسكرات ومفارق الطرق الإستراتيجية. وقد بات معروفاً أن هناك سبعة عشر عضواً في الكنيست ينتمون للإئتلاف الحاكم، يعارضون أي انسحاب من الضفة حتى ولو كان عن شبر واحد.

وبدون الغوص في تفاصيل المناورات والإستهدافات السياسية التكتيكية الإسرائيلية، المترافقة كما ذكرنا مع سعي الحكومة الإسرائيلية الحثيث لخلق وقائع جديدة على الارض، تجدر الإشارة هنا إلى القضايا الأساسية التالية:

أولاً: إن القرار الإسرائيلي يستهدف إرضاء الإدارة الأمريكية، وتجاوز حالة الفتور في العلاقات جراء التعارضات الجزئية التي برزت في وجهات النظر بين الجانبين. ومن الطبيعي جداً أن يحاول نتيناهو وحكومته صياغة شكل من أشكال الإستجابة للموقف الأمريكي، الذي يواصل احتضان إسرائيل وحماية سياساتها. وبالفعل فقد استطاعت حكومة نتنياهو تحقيق أهدافها، حيث اعتبرت الإدارة الأمريكية قرار إعادة الإنتشار خطوة في الإتجاه الصحيح. وتتابعت المواقف في أعقاب لقاء نتنياهو ـ أولبرايت في باريس. وأثناء جولة مارتن أنديك مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشؤون الشرق الأوسط، الذي قال على إثر لقائه مع وزير الخارجية الإسرائيلي ديفيد ليفي «نحن نفهم بأن إسرائيل بحاجة للوقت لإتخاذ قرار سياسي، وأن الولايات المتحدة تقبل بهذا الواقع».

ثانياً: إن القرار الإسرائيلي يستهدف التخلص من الأزمة الداخلية التي انفجرت بصورة صاخبة، والتي خلقها نتنياهو لنفسه ولحزبه نتيجة حماقاته الكثيرة المتلاحقة، وخاصة اصراره في مؤتمر الليكود الأخير على اتخاذ قرار بإلغاء «البرايمرز» لإحكام قبضته على الحزب والوزراء والمرشحين لإنتخابات الكنيست القادمة. وقد أثبت بالفعل، وعبر اقتراحه اعادة الإنتشار، وإشغال الحكومة الإسرائيلية والمعارضة بهذا الإقتراح، إنه رجل يملك كفاءة عالية جداً في المناورة والخداع والتضليل، والتفلت من المآزق والمواقف الحرجة. فقد أظهرت بعض وسائل الإعلام الإسرائيلية والأجنبية أن الرجل أشرف على السقوط التام والنهائي، بعد أن أظهر وزراؤه وأعضاء حزبه الأساسيون، أنهم لم يعودوا، قادرين على احتمال خداعه وألاعيبه ومناوراته وكذبه وريائه، ولافهم أسلوبه وطريقته في العمل. خاصة بعد أن أظهرت الإدارة الأمريكية ضيقها من تشدده وتعنته، الأمر الذي تجلى بامتناع بيل كلينتون عن استقباله في البيت الأبيض، خلال زيارته الأخيرة للولايات المتحدة. غير أن الرجل استطاع اخماد النيران المشتعلة من حوله، وتجاوز الأجواء والمناخات والمواقف التي أحاطت به داخلياً وخارجياً.

ثالثاً: إن القرار الإسرائيلي هو بمثابة مناورة، تستهدف إجهاض التحرك الدولي المتصاعد والمتنامي، وامتصاص ردود الفعل الدولية الغاضبة على تعنت الحكومة الإسرائيلية وتزمت سياساتها ومواقف رئيسها بنيامين نتنياهو. فقد شعرت حكومة تل أبيب أن «إسرائيل» محشورة في الزاوية ويجري تحميلها المسؤولية، وهي «متهمة دولياً بالمراوغة وتعطيل عملية السلام» ومنع اندفاعها خطوات جديدة إلى الأمام. كما وجد نتنياهو، أنه لم يعد قادراً على الإستمرار بسياسة التمترس وراء مواقفه الجامدة والمتحجرة التي ترفض تعليق الإتفاقات وبضمنها بروتوكول اتفاق الخليل الذي وقعه بنفسه، بذريعة عدم إيفاء الفلسطينيين بالإستحقاقات الأمنية وهكذا فإن العزلة التي أحاطت بالكيان الصهيوني شكلت عاملاً ضاغطاً يدفع باتجاه إيجاد مخرج.

رابعاً: ان القرار الإسرائيلي يستهدف منح الإدارة الأمريكية موقفاً إسرائيلياً إيجابياً، في الظاهر تستطيع الإتكاء عليه للقول «ان واشنطن استطاعت إخراج عملية السلام من مأزقها، وإنقاذها من انهيار محقق كان ينتظرها. وذلك لإستعادة دورها المسيطر والمهيمن والمقرر في شؤون المنطقة، بعد أن شهدت الأشهر الأخيرة بعض المتغيرات التي أزعجت واشنطن كثيراً». ويأتي في مقدمة هذه المتغيرات المحدودة، المقاطعة العربية الواسعة لمؤتمر الدوحة الإقتصادي، رغم الضغوط الأمريكية المكثفة، ورفض الدول العربية والإقليمية منح الإدارة الأمريكية أي غطاء سياسي لتوجيه ضربة عسكرية للعراق، وانعقاد مؤتمر القمة الإسلامية الثامن في طهران، الأمر الذي سدد ضربة قوية لسياسة الإحتواء المزدوج الأمريكية، وساهم في إخراج إيران من العزلة التي حاولت واشنطن فرضها عليها.

إن هذه التطورات المزعجة، للإدارة الأمريكية، تسبب قلقاً متزايداً في واشنطن، لأن إستمرار تراكمها، يمكن أن يقود لحدوث تحولات جدية، وافقاد الإدارة الأمريكية القدرة على الإمساك بزمام المبادرة والتحكم بمجرى الأحداث والتطورات في المنطقة. ولعل هذا الواقع هو الذي جعل الإدارة الأمريكية تطالب حكومة الليكود باتخاذ قرارات تستطيع الإتكاء عليها لإستعادة زمام المبادرة من جديد، وهو الذي جعل الحكومة الإسرائيلية تستجيب لهذا الطلب على النحو الذي أوردناه في الصفحات الأولى.

خامساً: إن القرار الإسرائيلي يستهدف نقل الكرة من الملعب الإسرائيلي إلى الملعب الفلسطيني، والعمل بكل الوسائل لتسليط الضغوط على السلطة الفلسطينية، وخاصة من قبل الإدارة الأمريكية لجعلها تقبل بالإقتراحات الإسرائيلية المشروطة، التي يصفها مسؤولون فلسطينيون مشاركون في السلطة والمفاوضات، بأنها إعادة تنظيم للإحتلال الإسرائيلي للضفة، وأن الحكومة الإسرائيلية تحاول الإستظلال «بالعملية السلمية» لتمرير مخططاتها وتصوراتها حول التسوية الدائمة.

ويبدو واضحاً أن الإدارة الأمريكية مستندة إلى القرار الإسرائيلي بالموافقة على إعادة الإنتشار من حيث المبدأ، قد شرعت بالعمل على إخراج العملية السياسية من مأزقها بما يعيد الإمساك بزمام المبادرة في المنطقة، ويؤمن الإستجابة للإشتراطات الاسرائيلية جميعها أو بعضها. وقد التقت مادلين أولبرايت لهذا الغرض، كلا من عرفات ونتنياهو في باريس ولندن وما إن عاد الرجلان حتى جاء مارتن أنديك مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية لشؤون الشرق الأوسط، في جولة التقى خلالها عرفات ونتنياهو وليفي ومردخاي، طار بعدها إلى عمان ودمشق وبيروت والقاهرة للتباحث مع المسؤولين فيها بشأن دفع العملية السياسية خطوات جديدة الى الأمام. وتحت شعار عدم إضاعة الفرصة، من المتوقع أن تبدأ الإدارة الأمريكية جهودها للضغط على الجانب الفلسطيني لحمله على الموافقة على حلول وسط تقترحها، لردم الهوة بين الموقفين الفلسطيني والإسرائيلي. وقد مهدت الإدارة الأمريكية لموقفها هذا، بتصريحات أطلقها الناطق بلسان الخارجية الأمريكية، عندما علق على المواقف الإسرائيلية والفلسطينية بشأن المساحة التي يتوجب إعادة انتشار القوات الإسرائيلية عنها بالقول: «ان المطالب الفلسطينية مبالغ فيها» وتفيد مصادر مطلعة وصحفية أمريكية وإسرائيلية وعربية، إن الإدارة الأمريكية تنوي مطالبة الحكومة الأمريكية بإعادة الإنتشار عن مساحة يتراوح حجمها بين ١١٪-١٣٪ من الضفة. وقد أظهرت تصريحات مارتن أنديك، بأن واشنطن تتعامل مع المخططات الإسرائيلية بشأن إقامة المناطق الأمنية على طول نهر الأردن وبمحاذاة الخط الأخضر، وشق الطرق الإستراتيجية من غرب الضفة إلى شرقها وعلى طول امتداد المناطق الأمنية، باعتبارها مسألة طبيعية، لاتتناقض مع أسس العملية السياسية التي تدعي رعايتها لها كوسيط محايد.

السلطة الفلسطينية التي التقى رئيسها مع مادلين أولبرايت وأمين سر لجنتها التنفيذية مع ديفيد ليفي، كانت قد تلقت الإشتراطات الإسرائيلية المحددة بدقة لتنفيذ عملية

الإنتشار الموعودة. السلطة هذه أعربت على لسان عدد كبير جداً من مسؤوليها ومفاوضيها، عن رفضها لخطة إعادة الإنتشار كما نشرتها الصحف الإسرائيلية، وشددت على رفضها للإشتراطات الإسرائيلية وخصوصاً تلك المتعلقة بربط عملية اعادة الإنتشار بموافقة الجانب الفلسطيني إلغاء المرحلة الثالثة من إعادة الإنتشار، والدخول فوراً بمفاوضات الحل الدائم والتسوية النهائية.

والسؤال المطروح الآن هو: هل ستتمسك السلطة الفلسطينية بمواقفها المعلنة، التي تتحدث عن إصرارها على ضرورة الزام الحكومة الإسرائيلية بتنفيذ القضايا العالقة من المرحلة الإنتقالية جميعها، وبشكل خاص انسحاب القوات الإسرائيلية عن ٨٠٪-٩٠٪ من مساحة الضفة بالمواعيد المحددة في اتفاقية الخليل وقبل الشروع بمفاوضات الحل الدائم؟! إن هذا السؤال يستمد مشروعيته بالطبع من حصيلة تجربة السنوات الأربع الماضية، في المفاوضات مع الجانب الإسرائيلي. فقد دأبت السلطة الفلسطينية على انتهاج سياسة تقديم التنازلات، تحت وطأة الضغوط الأمريكية - الإسرائيلية، والقبول بالحلول الوسط، بذرائع وحجج عديدة ومختلفة، ومن المتوقع أن يبرز من داخل السلطة تيار يقول بضرورة التعامل مع اقتراحات حكومة نتنياهو على أساس تحسينها وتحسين شروطها، «حتى لانجد أنفسنا أمام طريق مسدود، وحتى لايتهمنا الأمريكيون بالمسؤولية عن إضاعة فرص عملية السلام خطوات جديدة إلى الأمام». وقد شرع المنظرون المتهافتون بتهيئة الأجواء لمثل هذه السياسة بالحديث المبالغ فيه عن المعاني الكبيرة لموافقة نتنياهو وحكومته اليمينية المتطرفة على مبدأ الإنسحاب عن مناطق أو أجزاء صغيرة من الضفة الفلسطينية. وبدأوا يتحدثون عن اهتزاز مرتكزات الإيديولوجية الصهيونية، وعن تحول جوهري في مواقف اليمين ويمين اليمين الصهيوني. وأخذ بضعهم يقترح ضرورة اتباع تكتيك سياسي، لايقوم على اساس الموافقة على الإقتراحات الإسرائيلية ولا رفضها.

ويتجاهل هؤلاء المثقفون والمسيسون ان اقتراح نتنياهو ينطوي على ابعاد سياسية تكتيكية ترتبط ارتباطاً وثيقاً برؤية الليكود للتسوية الدائمة، وأنه يشبه حقلاً واسعاً ملغماً، يستوجب المشي في دروبه، أعلى درجات اليقظة والحذر، لأن أي تنازلات فلسطينية جديدة لم يعد ممكناً احتمالها أو قبولها، لأنها ستكون بمثابة استسلام شامل لمخططات الليكود المعروفة، والقائمة على اساس توسيع الحكم الذاتي والإبقاء على الإحتلال قائماً. فالسلطة الفلسطينية إذن انزلقت إلى دوامة تحسين الإقتراحات وتحسين شروطها، ستجد نفسها بالتأكيد، وقد ساهمت في إخراج نتنياهو من مأزقه، ووضعت الكرة في ملعبها فما يجري حالياً، ليس نقاشاً حول سبل تطبيق اتفاقية أوسلو الظالمة والمجحفة، بل هو نقاش حول ما يمكن تنفيذه إسرائيلياً من اتفاقات أوسلو وبروتوكول الخليل الملحق به. واللافت للنظر أن هذا النقاش يجري حتى الآن فقط، بين أطراف الإئتلاف الحكومي الإسرائيلي أولاً وبين الحكومة الإسرائيلية والإدارة الأمريكية ثانياً، ولم تفكر هذه الحكومة جدياً بمناقشة الجانب الفلسطيني حول هذه المسألة الهامة جداً، والمتعلقة بإعادة انتشار القوات الإسرائيلية في منطقتي ب + ج، وقد أصبح واضحاً الآن أن تكتيك رئيس الحكومة الإسرائيلية يقوم على أساس ان التوافق داخل الإئتلاف الحكومي ومع الإدارة الأمريكية أمر هام وجوهري، لحشر الجانب الفلسطيني في الزاوية وتحميله المسؤولية عن فشل المفاوضات لاحقاً.

وإذا افترضنا أن رئيس الحكومة الإسرائيلية، سيقدم اقتراحاته بشأن إعادة الإنتشار الثانية، بهدف دفع المفاوضات والإستجابة للضغوط الدولية، وليس للمناورة والتملص من هذه الضغوط، فإن الثمن المطلوب دفعه من الجانب الفلسطيني سيكون باهظاً جداً، وسيدخل السلطة الفلسطينية في مأزق أخطر من المأزق القائم حالياً.

وعليه فإن المنطق يستوجب أن تتخذ السلطة الفلسطينية موقفاً حازماً، يرفض اقتراحات حكومة نتنياهو وشروطها، والعمل على حشر نتنياهو في الزاوية، وعدم إعطائه أي فرصة للتملص من الضغوط الدولية. فهذه السلطة التي تورطت بالتوقيع على اتفاقات أوسلو، والتفريط بحقوق الشعب الفلسطيني الثابتة والتاريخية، عليها أن تدرك الآن، أنها وصلت إلى حافة الهاوية، وأنها لاتستطيع مواصلة سياسة التراجع والمقامرة بمصير الشعب وحقوقه الوطنية. ويكفي أن نشير إلى أن فرنسا رفضت اقتراحات نتنياهو وحكومته، عندما أعلنت على لسان وزير خارجيتها «إن ما قدمه نتنياهو هو لفتة تقل كثيراًجداً عن التعهدات التي التزمت بها الحكومة الإسرائيلية، وهي دور الخطوة المطلوبة لتنشيط عملية السلام».

ولعل المسألة الهامة والأساسية، التي ينبغي التوقف أمامها والتدقيق بها في هذه المرحلة هي: ان التطورات السياسية المتلاحقة خلال الأشهر الماضية، لم تنطو على اي تغير جدي وجوهري في السياسات الأمريكية والإسرائيلية تجاه القضية الفلسطينية ومجمل قضايا المنطقة، رغم أن الظاهر ربما يوحي بغير ذلك. وبدون العودة إلى البحث في التفاصيل المتعلقة بهذه السياسات، نكتفي هنا بالإشارة إلى أهم الإستخلاصات، ارتباطاً بمجرى الأحداث والتطورات المتلاحقة التي نشهدها في هذه الفترة:

أولاً: إن قرار الحكومة الإسرائيلية المبدئي بالموافقة على إعادة انتشار قواتها لمرة واحدة، من مساحة محدودة من الضفة، لايعني حدوث أي تغيير في خططها الإستراتيجية، ولا بمواقفها الأساسية من اتفاقية أوسلو. فهذا القرار استهدف في الجوهر تغيير التكتيك السياسي الإسرائيلي، لتمكين الحكومة الإسرائيلية من الإمساك بزمام المبادرة السياسية، والشروع بهجوم واسع على الفلسطينيين لحشرهم في الزاوية، وإجراء مساومة مع السلطة الفلسطينية، تستهدف الإلتفاف على اتفاقات أوسلو والتفلت من استحقاقاتها الراهنة. والدلائل على هذا الإستنتاج كثيرة وواضحة جداً، فالحكومة الإسرائيلية تواصل تنفيذ سياساتها ومخططاتها المتناقضة من اتفاقيات أوسلو جهاراً نهاراً، فهي تعمل وتبني وتصادر الأرض وتشق الطرق وتقيم المستوطنات وتعزز القائم منها، بما يؤكد أنها لاتريد ليس فقط التسليم بالحقوق الوطنية الفلسطينية المشروعة، بل ولا تريد تطبيق اتفاقات أوسلو الظالمة والمجحفة.

ثانياً: إن القرار الإسرائيلي بإعادة الإنتشار، استهدف في الجوهر الحفاظ على الإئتلاف الحكومي وحمايته من أي تفكك، وتعزيز مكانة نتنياهو، الذي لم يضعف رغم كل مشاكله مع الإئتلاف وداخل حزبه. ويبدو واضحاً الآن أن الرهان على سقوط نتنياهو، هو رهان خاسر. فالمعادلات الداخلية الإسرائيلية لاتسمح بسقوطه ببساطة، ولايفتح الباب أمام التوجه لانتخابات مبكرة، وإذا كان صحيحاً القول إن الأزمات الداخلية والخارجية التي مرت بها الحكومة ورئيسها، فإن الصحيح أيضاً هو أن هذه الأزمات لم تكن قادرة على الإطاحة به أو تغيير توجهاته السياسية الأساسية. فالرجل لايتميز بمهارات الغدر والكذب فحسب، بل بقدرة فائقة على التملص والمساومة والمراوغة على المستويين الداخلي والخارجي. ورغم انكشاف طبيعة صفاته الشخصية المذكورة، يواصل نتنياهو العمل بلا اية صدقية، ومجرداً من أخلاق الإستقامة والنزاهة.

ثالثاً: ان الحكومة الإسرائيلية لاتريد ضم الضفة والقطاع، حرصاً منها على نقاء الدولة العبرية أولاً، وتجنباً للمخاطر الناجمة عن مثل هذه العملية ثانياً. ولكنها بالمقابل لاتريد الإنسحاب من المنطقتين، ولاتريد السماح للفلسطينيين بإقامة دولتهم المستقلة. وبما أن

الإستمرار بالوضع على ما هو عليه، أمر غير ممكن، تسعى الدولة العبرية للوصول إلى معادلة تسمح بمنح الفلسطينيين حكماً ذاتياً موسعاً للسكان، والإبقاء بذات الوقت على السيطرة الإسرائيلية على الأرض. ويتضح ذلك بجلاء من خلال الخرائط التي يجري اعدادها ونقاشها هذه الأيام تحت عنوان المناطق ذات الحيوية الأمنية والقومية. وارتباطاً بذلك يسعى نتنياهو وحكومته اليمينية المتطرفة إلى جعل إعادة الإنتشار في الضفة، في حال تنفيذها، جزءاً لايتجزأ من خطة التسوية الدائمة. فإعادة الإنتشار ستكون في إطار المناطق البعيدة تماماً، عما تسميه الحكومة الإسرائيلية المناطق ذات المصلحة القومية والأمنية التي تنوي الإحتفاظ بها في إطار رؤيتها للتسوية الدائمة.

رابعاً: ان الحديث عن ضغوط كبيرة وواسعة تتعرض لها الدولة العبرية هو حديث مبالغ فيه كثيراً. صحيح أن الكيان الصهيوني محشور، ويجري تحميله المسؤولية عن تعثر «عملية السلام»، لكن الأمر لايصل إلى حد اتخاذ المواقف التي تجعل اسرائيل ملزمة حتى بتنفيذ الإتفاقات التي وقعت عليها برعاية أمريكية ودولية. وقد لفت الإنتباه خلال الفترة الماضية، تأكيد أكثر من مسؤول في الإتحاد الأوربي، بأن أوروبا لاتفكر بتوقيع عقوبات اقتصادية على اسرائيل كنوع من الضغط لإلزامها بتنفيذ تعهداتها وفتح الباب أمام «تنشيط عملية السلام» على جميع المسارات الفلسطينية والعربية.

خامساً: إن الإدارة الأمريكية التي تضررت هيمنتها وسيطرتها شبه المطلقة على التطورات في المنطقة خلال الأشهر القليلة الماضية، جراء تعنت الحكومة الإسرائيلية، لاتمارس ضغطاً سياسياً حقيقياً على إسرائيل، لارغامها على الإلتزام بتنفيذ الإتفاقات والتعهدات التي قطعتها على نفسها برعاية أمريكية مباشرة، والإنتقادات الخجولة التي توجهها واشنطن لبعض مواقف الحكومة الإسرائيلية، لاتعكس تغييراً في مواقفها من دولة الإحتلال الصهيوني. وعلى العكس من ذلك، فإن كل الدلائل تشير إلى استعداد الإدارة الأمريكية الدائم لتغطية المواقف والسياسات الإسرائيلية المستهترة والمستخفة بقرارات الشرعية الدولية. وهاهي الإدارة الأمريكية تبحث اليوم عن حلول وسط بشأن تطبيق الإتفاقات التي تعتبر طرفاً فيها، بدلاً من العمل على إلزام المحتلين الإسرائيليين بتنفيذها.

وارتباطاً بما تقدم، يبدو واضحاً، أن التحليلات التي تقول بأن نتنياهو يعمل على تكييف نهجه وسياساته مع الواقع الدولي ومتطلبات إيجاد حلول تتناقض مع قناعاته الإيديولوجية، هي تحليلات سطحية، وغير صحيحة وتفتقر إلى الفهم العميق والدقيق لسياسات ومخططات وتوجهات الحكومة الإسرائيلية، ولطبيعة العلاقات الأمريكية الإسرائيلية والإستراتيجية. ومن هذا المنطلق فإن السؤال المطروح الآن بالحاح هو: كيف ستسير الأمور، وما هي التوقعات؟؟ المعطيات المتوفرة تشير الى أن الإدارة الأمريكية، ستسعى إلى عقد لقاءات مكثفة، على اكثر من مستوى، مع الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، وستضع كل ثقلها وإمكاناتها لإخراج المفاوضات من مأزقها ودفع العملية السياسية خطوات جديدة إلى الأمام لإستعادة زمام المبادرة، وإحكام سيطرتها وهيمنتها من جديد على مجمل التطورات في هذه المنطقة الهامة جداً والحيوية جداً لمصالحها. فخلال الفترة القريبة القادمة، ستدور عجلة المفاوضات حول عملية إعادة الإنتشار الثانية ومجمل القضايا الأخرى العالقة. وستشارك الإدارة الأمريكية في المفاوضات، بغرض الضغط على الجانب الفلسطيني اساساً، توصلاً لحلول، تؤمن انطلاق العملية السياسية مجدداً، وتستجيب بذات الوقت للرؤية الإسرائيلية لطبيعة التسوية الدائمة.

وبصرف النظر عن التفاصيل المتعلقة بمجرى المفاوضات المحتملة، والمدى الزمني الذي ستستغرقه ومدى استعداد كل من السلطة والحكومة الإسرائيلية لتقديم التنازلات المطلوبة، فإن الشيء المؤكد هو أن الخروج من المأزق الحالي، في حال نجاح الإدارة الأمريكية، في مسعاها وجهودها سيكون من طبيعة مؤقتة، لأن السياسات الإسرائيلية ستظل تولد الأزمات الواحدة تلو الأخرى، ولأن اتفاقات أوسلو بطابعها وطبيعتها، لاتوفر حلاً سياسياً للقضية الفلسطينية.

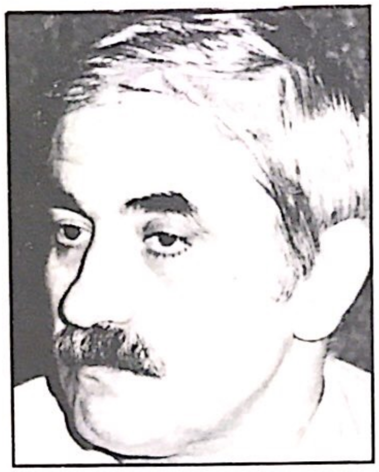
تبقى الإشارة أخيراً، إلى المهام التي يتوجب النهوض بها في هذه المرحلة الصعبة والخطيرة، بمواجهة التحديات والتهديدات التي يتعرض لها شعبنا، وتتعرض لها حقوقه الوطنية الثابتة والمشروعة وفي مقدمتها حقه في العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف. ونبدأ أولاً بالتشديد على الأهمية القصوى لأوسع نشاط سياسي جماهيري نضالي، يتصدى لسياسات الإحتلال الإستيطانية ولمجمل القرارات الإسرائيلية بالمصادرة والإستيلاء على المزيد من الأراضي، ولكل التدابير والإجراءات الإسرائيلية الحثيثة لتغيير معالم المدينة المقدسة وصولاً للهدف المركزي ألا وهو تهويدها، وجعلها عاصمة أبدية للدولة العبرية. وبموازاة ذلك كله، فإن المسؤولية الوطنية تستوجب في الظروف الراهنة، العمل على رص الصفوف لجميع القوى والفصائل والأحزاب من جميع الإتجاهات والتيارات لمنع احتمالات قبول السلطة الفلسطينية لمجمل أو بعض الإشتراطات الإسرائيلية لإعادة الإنتشار الثانية، نظراً للمخاطر الكبيرة، التي تنطوي عليها اقتراحات الحكومة الإسرائيلية واشتراطاتها، لتنفيذ (النبضة الثانية) من عملية اعادة الإنتشار. وإن على شعبنا بقواه السياسية المختلفة، أن يعمل بجدية ونشاطية أعلى، لجعل السلطة الفلسطينية تدرك إدراكاً عميقاً وبشكل ملموس، إن قبول الأفكار الإسرائيلية المطروحة، هو استسلام لإرادة المحتلين، ليس مقبولاً اطلاقاً، وإن على الجميع أن يتكاتفوا لرفضه وإدانته من أجل العمل على تهيئة الأوضاع والعمل على دفعها نحو تجديد الإنتفاضة الشعبية، بأشكال جديدة، وتصعيد المواجهة مع المحتلين الإسرائيليين، بما يضاعف من الضغوط الملقاة على كاهلهم، ويوفر المناخات التي تساهم في إعادة الإعتبار لدور الجماهير وقواها السياسية المحتلة في المعركة مع الإحتلال، وبما يؤمن اعادة الإعتبار لمنظمة التحرير الفلسطينية وبرنامج الإجماع الوطني، برنامج حق العودة وتقرير المصير والدولة المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

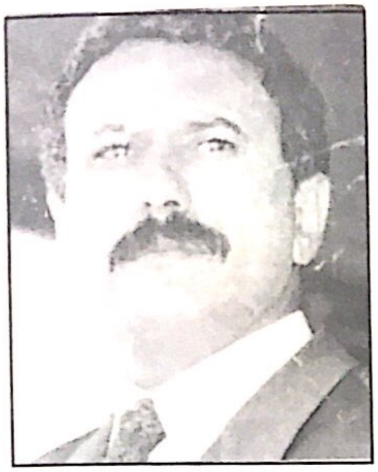
ويبدو أن الواقع الراهن، يوجب التذكير بان خزان الغضب الذي فجر الإنتفاضة الشعبية الفلسطينية المجيدة عام ١٩٨٧ قد قارب على الإمتلاء عن آخره من جديد، جراء سياسات الإحتلال الإستيطانية، وكل أشكال القهر والقمع والإرهاب والإذلال التي تمارسها الحكومة الإسرائيلية اليمينية المتطرفة.

وإذا كانت عوامل ذاتية موضوعية اقليمية ودولية، قد ساهمت باجهاض الإنتفاضة والحيلولة دون بلوغها أهدافها في الحرية والإستقلال فإن الخبرة والغضب المتراكمين، سيجعلان الإنتفاضة الشعبية القادمة أكثر قدرة على تحقيق أهداف شعبنا.

إن عناصر قوة الموقف الفلسطيني، لاتتمثل فقط بالحق الفلسطيني الثابت والراسخ، ولا بالدعم الدولي الذي تحظى به حقوقنا الوطنية فحسب بل باستعدادات الشعب الفلسطيني العالية لمواصلة الكفاح ضد الإحتلال الصهيوني وتقديم التضحيات الجسيمة على مذبح العودة وتقرير المصير والدولة المستقلة ■■

د. جورج حبش يبرق معزياً للرئيس علي عبدالله صالح بوفاة المناضل عبد الرحمن الأرياني





الأخ الرئيس الفريق/ علي عبد الله صالح المحترم

رئيس الجمهورية العربية اليمنية

تحية العروبة وبعد،

الأخ المناضل/ علي عبد الله صالح

تلقينا بحزن بالغ نبأ وفاة الأخ والمناضل القاضي عبد الرحمن الأرياني، الإبن البار للشعب العربي اليمني الشقيق والذي وهب حياته من أجل وطن حر وسعيد للشعب اليمني.

فبإسم اللجنة المركزية العامة للجبهة وباسم كوادرها وأعضائها وبإسمي شخصياً أتقدم منكم وعبركم لأسرة الفقيد وللشعب العربي اليمني بأحر التعازي القلبية.

الأخ العزيز

إن أمتنا العربية وشعوبنا العربية هي بحاجة ماسة لقادة من أمثال القاضي عبد الرحمن الأرياني، والذي وضع نصب عينيه مصلحة اليمن فوق كل اعتبار، فقدم أمثولة هامة للقاصي والداني، ونحن نرى بهذه المناسبة فرصة هامة للتعبير لكم عن عميق احترامنا وتقديرنا لما يحدث في اليمن الشقيق الآن من تطورات إيجابية باتجاه الديمقراطية والتعددية، وإعادة بناء دولة المؤسسات.

إن اليمن الشقيق بلد عربي قريب من قلوب شعبنا الفلسطيني لما له ومايمثله من مواقف داعمة ومساندة لقضية شعبنا وحقوق أمتنا العربية وطموحاتها العادلة في الوحدة والحرية وتحرير فلسطين والتقدم الإجتماعي.

تقبلوا منا أحر التعازي القلبية مع عميق الأمنيات بالتقدم والإزدهار للشعب العربي اليمني الشقيق...

أخوكم د. جورج حبش

الأمين العام للجنة المركزية

للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

توضيح من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين حول ما نشرته صحيفة المجد الأردنية تحت عنوان «نص مشروع الإتحاد الفوري بين الديمقراطية والشعبية»

نشرت صحيفة المجد الأردنية الأسبوعية، بعدديها الصادرين بتاريخ ٩/٣-١٦/٣/١٩٩٨ وثيقة تحت عنوان: (نص مشروع الإتحاد الفوري بين الديمقراطية والشعبية) وأوردت في التقديم له: «أنها حصلت على مشروع الإتحاد الجبهوي الذي تقدمت به الجبهة الديمقراطية للجبهة الشعبية مؤخراً من أجل إقامة اتحاد فوري بينهما».

توخياً للدقة وتوضيحاً للحقيقة نبيّن الآتي:

١ـ في نهاية عام ١٩٩٥ أدير نقاش في القيادة المركزية الموحدة، بعد وقفة مراجعة للشوط الذي قطعته العلاقات بين الجبهتين، سواء بنقاط التقدم أو بالإخفاق، وتدارست في ضوء ذلك أهمية وإعداد الذات للتقدم للأمام، عبر وضع تصور لمشروع اتحاد جبهوي ديمقراطي.

٢ـ أمانة السر الموحدة وفي بداية عام ١٩٩٦؟ عقدت جلستين لهذا الغرض.

الأولى: خلصت إلى رأي يقول بضرورة وضع تصور جديد (غير المشروع السابق الذي كان قد سلم للجبهتين/ النضال والفلسطينية، باعتباره لايلبي الغرض، واتفق المجتمعون (أمانة السر) على وضع أساس تصور، يكون رافعة الإرتقاء بالعلاقات من التنسيق الجاري إلى أعلى مستوى اتحادي، وما دون الإندماج.

في الجلسة الثانية: تقاربت الآراء لصياغة ورقة تستجيب لهذا التصور على أن تعرض مبدئياً على الهيئات كمشروع أولي يتابع النقاش فيه لاحقاً.

٣ـ بحصيلة التداول كلف الرفيق أبو ليلى (ج.د) من أمانة السر الموحدة بكتابة مسودة مشروع كحصيلة لنقاشات ثنائية وجماعية أولية، ووزع على هيئة القيادة الموحدة، وأعضاء المكتب السياسي في الجبهتين، لإبداء الرأي.

٤ـ حصيلة نقاش بضعة شهور في الهيئات الموحدة وفي المكتبين السياسيين، أعيد الموضوع لطلب إقرار سياسي، بمبدأ الإتحاد الجبهوي لعرضه على اللجنتين المركزيتين في الجبهتين.

٥ـ وضعت القيادة الموحدة في شهر تشرين الأول عام ١٩٩٦، مشروع قرار لعرضه على اللجنتين المركزيتين (كل على حدة) ونصه التالي:

(توصي القيادة المركزية الموحدة الهيئتين المركزيتين، بتبني صيغة إتحادية جبهوية بين الجبهتين الشعبية والديمقراطية تتجاوز الوضع الراهن، إلى صيغة موحدة أرقى قيادياً وقاعدياً في الميادين السياسية والجماهيرية والإعلامية، مما يؤدي إلى تشكيل هيئات موحدة ذات صلاحية ملزمة للطرفين على مختلف المستويات، ووفق برنامج موحد، وأن تعمل على وضع لوائح منظمة لعلاقاتها الداخلية، وآلية التقدم على طريق الوحدة التنظيمية الإندماجية وصولاً إلى مؤتمر توحيدي).

٦ـ عرضت هذه التوصية على كل من اللجنة المركزية في الجبهة الديمقراطية فوافقت عليها، كما أبلغنا الرفاق في اجتماع لاحق للقيادة المركزية الموحدة، وعرضت التوصية على اللجنة المركزية العامة في الجبهة الشعبية وبالأغلبية لم توافق على التوصية بسبب عدم إنضاج المسائل النظرية والسياسية والتنظيمية بين التنظيمين ومستوى الشوط المقطوع وعلامات التجربة المحققة على أرض الواقع، وحتى لانقع في الفشل، ويكون المردود عكسياً فتفضل اللجنة المركزية للجبهة الشعبية عدم التسرع باتخاذ خطوات غير مدروسة تماماً. مع المحافظة على المستوى القائم وتطويره إيجابياً بشكل متدرج.

٧ـ هذا الموقف (القرار) بلغ للرفاق، واعتبرنا أن المشروع محفوظ للنقاش في فرصة اخرى، خاصة في ضوء اعدادهم للكونغرس الحزبي، وإعداداتنا للمؤتمر الوطني السادس.

٨ـ إن نشر المشروع القديم والمؤجل في الصحافة على أنه صادر عن هيئات الجبهة الديمقراطية، وتقدمت به لنا مؤخراً، أمر يُثير الإستغراب، وعن الدوافع من وراء نشره، وجدوى هذا النشر.

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

١٩٩٨/٣/٢٣

الرفيق أبو علي مصطفى يلتقي أسر الشهداء بمناسبة يوم الشهيد

لمناسبة يوم الشهيد وتكريماً وتخليداً لذكرى كل الشهداء أحيت قيادة فرع سوريا لقاء مع أسر الشهداء وذلك يوم الخميس الموافق ١٩٩٨/٣/١١ في قاعة الشهيد غسان كنفاني هذا وقد حضره حشد من أهالي الشهداء.

في البداية وقف الحضور دقيقة صمت على اراوح الشهداء، ومن ثم ألقيت كلمة آل الشهداء وبعد ذلك ألقى الرفيق أبو علي مصطفى نائب الأمين العام للجبهة كلمة بالمناسبة قال فيها:

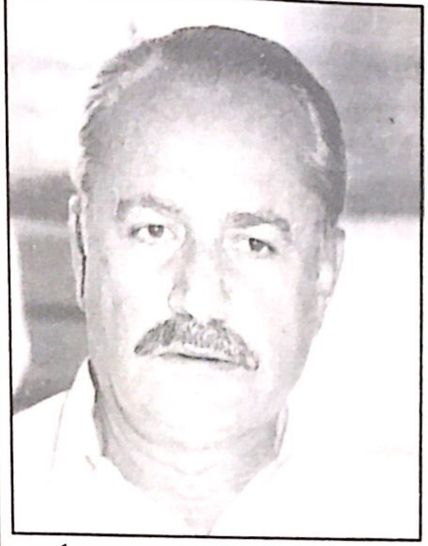
إن الشهداء الأماجد والذين ضحوا بأرواحهم في سبيل الوطن لهم النبراس الذي ينير لنا درب النضال، إنهم القدوة والمثل الذي يجب أن نظل نحتذي به حتى تحقق أهداف شعبنا العادلة.

إن هذا اليوم وبالنسبة لنا يعني المزيد من التحدي والإصرار على مواصلة النضال. إن دماء الآلاف من الشهداء العرب والفلسطينيين والذين استشهدوا على مدار ما يزيد عن نصف قرن عن أجل قضية الأمة العربية والإسلامية قضية فلسطين. إن دماء هؤلاء الشهداء وأرواحهم التي ترفرف فوقنا هي الرد على المقولة الكاذبة «يا وحدنا».

كما تطرق الرفيق أبو علي مصطفى لما تمر به عملية التسوية من تراجع وإنكفاء حيث قال إن التسوية وعلى لسان أصحابها وكما وصفوها بأنها تلفظ أنفاسها الأخيرة جراء سياسة التعنت الإسرائيلي والإنحياز الأمريكي في جانب الموقف والسياسات الإسرائيلية والتي هي في جوهرها معادية لعملية السلام. كما أن أصحاب اتفاق وادي عربة وأصحاب التطبيع اليومي مع إسرائيل ضاقت صدورهم من مظاهرة جماهير معان والتي جاءت تنديداً بالعدوان الأمريكي على شعب العراق المحاصر وهم الذين يدعون الديمقراطية.

إن كل ذلك يؤكد أنهم جميعاً فشلوا في صنع السلام، وإن ما تحقق لايتعدى استجابة للمتطلبات الإسرائيلية وفهمها لعملية السلام.

إن الأحداث الأخيرة والتي تشهدها الأراضي الفلسطينية المحتلة إنما هي تعبير حقيقي عن رفض شعبنا للإستسلام والذي فرضته إسرائيل على جماعة أوسلو. والتي



تاتي مترافقة مع اقتراب مرور ٥٠ عاماً على احتلال فلسطين عام ١٩٤٨م. ومع هذه المناسبة الأليمة يبرز السؤال الكبير لماذا وبعد ٥٠ عاماً من النضال والتضحيات والشهداء، لماذا لم ينتصر مشروعنا الوطني، بينما مشروع العدو الصهيوني في فلسطين يتقدم نحو تحقيق أهدافه، كما استشهد الرفيق أبو علي مصطفى بما كتبه المناضل روجيه غارودي حيث قال إن «المحرقة» التي تدعي الصهيونية أن اليهود تعرضوا لها على أيدي النازيين ما هي إلا كذبة لإخفاء الحقيقة الماثلة في التعاون ما بين الصهيونية وبين النازية والتي تجلت في زيارة أدولف أيخمان إلى فلسطين عام ١٩٣٧م للوقوف على المشروع الصهيوني في فلسطين وإقامة برنامج تعاون بين الحكومة النازية وحزب العمل الصهيوني. إن «المحرقة» هي المرادف الحقيقي للاسامية التي تستخدمها إسرائيل والحركة الصهيونية فزاعة في وجه من ينتقد السياسة الإسرائيلية.

ويتساءل الرفيق أبو علي مصطفى ألم يتعرض شعبنا إلى مذابح ومجازر وإحراق قرى ومحوها من على الخارطة؟ ألم يتعرض شعبنا إلى ما هو ابشع من المحرقة؟ تذكروا / دير ياسين - كفر برعم - يطار السموع - بحر البقر - مذبحة قانا... إلخ لماذا لانستخدم كل هذه المجازر والمذابح كأدلة دامغة على وحشية العدو الصهيوني ونحاجج الآخرين ونقدمها كأدلة دامغة أمام الرأي العام العالمي علينا أن نخاطب العالم باللغة التي يفهمها والتي تبين أن الصهيونية هي الوجه الأكثر بشاعة للعنصرية. وفي الختام عاهد أهالي الشهداء وذويهم على مواصلة النضال حتى تحقيق أهداف شعبنا وأمتنا وبعد انتهاء كلمة الرفيق أبو علي مصطفى دُعي أهالي الشهداء إلى حفل عشاء على شرف المناسبة.

ندوة في خان الشيح بمناسبة يوم الشهيد ٩ آذار

إلتقى الرفيق عمر قطيش عضو م س للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين جمهوراً غفيراً من أبناء الشعب العربي الفلسطيني في مخيم خان الشيح ودار حوار رفاقي ووطني بالعناوين التي تشغل بال أهلنا وشعبنا وأمتنا العربية. وقد استعرض الحضور مسيرة أوسلوبعد خمس سنوات من توقيع تلك الإتفاقات والملاحق الأمنية مؤكدين أن ما تمّ لم يقدم حلاً وطنياً لقضايا وحقوق شعبنا ولم ولن ينهي صفحة الصراع المفتوح مع العدو الصهيوني.

وقد إستعرض الرفيق عمر قطيش الحصاد المرّ الذي جناه فريق أوسلو بحق شعبنا وأمتنا العربية الإسلامية حيث ساهمت هذه الإتفاقيات في تقسيم شعبنا ووحدته وضعضعت أوضاع ومؤسسات م ت ف وكانت نصوص الإتفاقات تفريطاً ببرنامج الإجماع الوطني. منوّهاً إلى أن اتفاقات أوسلو لم تحل مشكلة الإستيطان والقدس والمعتقلين واللاجئين والنازحين. ولم تقدم سيادة لأهل أوسلو وما تم إعادة إنتشار أراح قوات الإحتلال. وفي الحد الأدنى لم تحفظ ممارسات الإحتلال كرامة الموقعين على تلك الإتفاقات حيث نشهد يومياً إذلالات بحق رئيس السلطة الفلسطينية ورموز السلطة والمجلس التشريعي. فلذلك من حقنا أن نتساءل ماذا أعطت تلك الإتفاقات وهل أوفت ما وعدت به شعبنا. وقد أكدت جميع المداخلات أن آفاق الصراع مفتوحة وقد مرّ شعبنا بتجارب سابقة مريرة وأثبت شعبنا في كل معاركه أنه عصيّ على الكسر ومازال خيار الكفاح الوطني متعدد المستويات والأشكال قائماً إلى أن تتحقق حقوق شعبنا. فقد تطرق الرفيق عمر قطيش إلى بؤس المدرسة التفاوضية الفلسطينية والأردنية مقارنة مع أداء المفاوض العربي السوري المتمسك بالثوابت الوطنية والقومية السورية.

وعلى صعيد الحوارات الأخيرة التي جرت بين بعض أطراف المعارضة الفلسطينية وفريق السلطة أكدت أن خيار فريق أوسلو مازال قائماً وبدل الإستقواء بالشعب مازالوا يستقوون بالإحتلال والخارج. ولغة فريق أوسلو استخدامية وتكتيكية في التعامل مع القضايا الوطنية التي تمس شعبنا وحقوقه وأهمية ترتيب البيت الفلسطيني لمواجهة استحقاقات المرحلة وتجاوز الإتفاقات المذلّة. هذا فقد عبر الحضور عن خيبة أملهم جراء تجاوز عنوان اللاجئين والشتات داعين للتمسك بالثوابت الوطنية وتطرق العديد لأهمية وثيقة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين المقدمة للمؤتمر السادس وضرورة فتح أوسع حوار بشأنها.

ونوه البعض لمصير ومستقبل العلاقة بين الجبهتين والمشروع الوحدوي إلى أين حين وضح الرفيق عمر قطيش أن هذا العنوان مطروح على المؤتمر القادم للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وأكد الرفيق عمر قطيش بهذه المناسبة على ان الوفاء للشهداء يكون بالتمسك بالأهداف النبيلة التي سقط من أجلها هؤلاء وما رافق المسيرة من عذابات وآلام ومن معتقلين وجرحى ومعطوبين جراء العملية النضالية التي فجرها شعبنا ومازال مستعداً للتضحية لتحقيق الأهداف الوطنية.

البيان الختامي الصادر عن المؤتمر الحزبي الأول لفرع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في الضفة الفلسطينية

بروح مفعمة بالعطاء والتجدد، وإيمان راسخ بالقضية العادلة للشعب الفلسطيني، وإصرار لايتزعزع على الإستمرار بالنضال من أجل الأهداف والحقوق الوطنية والتاريخية، وفي أجواء ديمقراطية، عقدت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - فرع الضفة الفلسطينية مؤتمرها الحزبي الأول، الذي أتى تتويجاً للمؤتمرات الحزبية القاعدية، التي كانت قد عقدت سابقاً وانتخبت مندوبيها لمؤتمر الفرع.

وبروح نقدية، ناقش المؤتمر مطولاً التقارير والوثائق السياسية والتنظيمية المقدمة إليه، وأغناها أعضاء المؤتمر بأفكارهم وإقتراحاتهم وأجازوها، ثم قام المؤتمرون، وفي أجواء ديمقراطية وبطريقة الإقتراع السري الفردي بانتخاب الهيئات القيادية الجديدة.

وقد عبرت الهيئات المنتخبة عن نسبة عالية من التجديد ممثلة لإرادة الأعضاء وطموحهم لتعزيز الحزب بقيادات شابة وقد بلغت هذه النسبة ٥٢٪، في حين بلغت نسبة الجدد من المعتقلين ١٠٪ من القوام العام للجنة المركزية الفرعية.

وقد خرج المؤتمر بمجموعة من القرارات والتوصيات راسماً الخطوط البرنامجية العامة لعمل الفرع في المرحلة القادمة من المجالات الفكرية والسياسية والتنظيمية والجماهيرية وعلى الصعيدين الوطني التحرري والديمقراطي الإجتماعي.

وإذ أكد المؤتمر على الوحدة الفكرية والسياسية والتنظيمية في الجبهة، نود لأهمية تعزيز الديمقراطية الحزبية الداخلية من خبرة وعبر ودروس المرحلة الماضية وبما يفسح المجال أمام الإرتقاء بدور الجبهة وفعاليتها في ميادين الكفاح المختلفة.

وأكد المؤتمرون تمسكهم بالمشروع الكفاحي التحرري الوطني والديمقراطي، الذي عبرت عنه الجبهة الشعبية، والذي لايقبل التنازل عن حقوق شعبنا التاريخية الثابتة، وفي مقدمتها حق العودة وتقرير المصير وإقامة دولته الوطنية المستقلة ذات السيادة وعاصمتها القدس. ونوه المؤتمرون أيضاً بالعلاقات الوحدوية المتينة بين الجبهتين الشعبية والديمقراطية، وأكدوا على ضرورة الإرتقاء بها خطوات نوعية إلى الأمام، على طريق تعزيز الإتحاد الجبهوي ووحدة كل القوى الديمقراطية باعتبارها الضمان الأكيد لحماية البرنامج الوطني والإجتماعي.

وشدد المؤتمرون على ضرورة صياغة برنامج وطني كفاحي موحد في مواجهة الإحتلال وسياساته وإجراءاته الإستيطانية والتهويدية والقمعية، مؤكداً أهمية الحوار الوطني الشامل والجاد بعيداً عن الإعتبارات التكتيكية والسياسات الإستخدامية، وذلك من أجل مراجعة جادة ومسؤولة للمسيرة السياسية وإعادة الإعتبار للوحدة الوطنية على أساس التمسك بالميثاق والبرنامج الوطني وإعادة بناء وتفعيل مؤسسات م. ت. ف على أسس ديمقراطية وفصلها عن مؤسسات السلطة، ومن أجل بناء العلاقات الوطنية على أساس الديمقراطية والتعددية السياسية وحقوق الحريات العامة وإحترام حقوق الإنسان وسيادة القانون ونزاهة القانون وإستقلال القضاة، ووقف التجاوزات والفساد والترهل البيروقراطي وكل أشكال التسلط والتعدي على المال العام، ولحل الخلافات بأسلوب الحوار الديمقراطي بعيداً عن العنف وتحريم الإعتقال السياسي وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين والإنشداد الدائم لمواجهة التناقض مع الإحتلال وسياساته.

دعا المؤتمر إلى العمل من أجل أوسع وحدة ميدانية للدفاع عن القدس ومواجهة الإستيطان ومصادرة الارض والدفاع عن حقوق اللاجئين والنازحين ورفض التوطين.

وعبر المؤتمر عن اعتزازه وإكباره لدور الأسرى الأبطال المناضلين من قيادات وكادرات وأعضاء وأنصار الجبهة وفي مقدمتهم شيخ المعتقلين محمد رجا نعيرات «أبو رفعت» وبقية فصائل وقوى العمل الوطني والإسلامي الصامدين في سجون ومعتقلات الإحتلال البغيض مؤكداً على أهمية وضرورة القيام بأوسع حملة وطنية لإطلاق سراحهم فوراً ودون قيد أو شرط.

وبمناسبة مرور خمسين عاماً على نكبة الشعب الفلسطيني دعا المؤتمر مناضلي الجبهة وأصدقاءها وأبناء شعبنا بأسره إلى إحياء هذه الذكرى الأليمة من خلال تشكيل اللجان الشعبية والإنخراط الواسع فيها، ولتكن مناسبة لتعزيز النضال والكفاح في مواجهة الإحتلال وإعادة الإعتبار للخيار الشعبي الكفاحي.

وجدد المؤتمر العهد والوفاء للشهداء الأبطال والأسرى والمعتقلين وأسرهم وذويهم، وتوجه بالتحية لجماهير شعبنا الصامدة في منطقة الـ ٤٨ معبراً عن الإعتزاز بنضالاتهم ودورهم الوطني، كما توجه بالتحية لجماهير الشعب الفلسطيني في أقطار اللجوء والشتات باعثاً بتحياته الصادقة لقيادة الجبهة وعلى رأسها الأمين العام الدكتور جورج حبش ونائبه الرفيق أبو علي مصطفى، معاهداً الجميع على المضي قدماً في رفع راية الكفاح خفاقة عالية حتى يتحرر الوطن وينتزع شعبنا كامل حقوقه ويتمكن من نيل حريته وإستقلاله وبناء مستقبله المشرق.

اللجنة المركزية الفرعية لفرع الضفة الفلسطينية
١٩٩٨/٣/١٠م

أبناء البلد يتظاهرون في تل أبيب ضد مخطط بورغ - شارون وقتل العمال الفلسطينيين في ترقوميا

تظاهر أكثر من مائة من أعضاء وشبيبة حركة «أبناء البلد» قبالة الوكالة اليهودية في تل أبيب بعد ظهر الأربعاء الماضي وذلك احتجاجاً ورفضاً لمشروع بورغ - شارون الذي يرمي إلى نقل ٢,٥ مليون دونم من الأراضي العامة إلى ملكية الوكالة اليهودية واحتجاجاً على مقتل ثلاثة عمال فلسطينيين رمياً برصاص الجيش الإسرائيلي عند حاجز ترقوميا. غربي الخليل.

ورفع المتظاهرون في المظاهرة التي شارك فيها وفد من القوى اليسارية اليهودية الشعارات ورددوا الهتافات ضد الإحتلال ومصادرة الأراضي وقتل العمال الأبرياء والرافضة لمخطط شارون - بورغ العنصري.

كما رفع المتظاهرون الشعارات المطالبة بإنهاء سياسة الابرتهايد والتميز العنصري التي تمارسها الحكومة الإسرائيلية والوكالة اليهودية ضد المواطنين العرب من جهة، وبالإعتراف بالقرى العربية غير المعترف بها والتخلي عن سياسة طرد السكان العرب في النقب من أراضيهم.

وستعقد حركة «أبناء البلد» يوم السبت اجتماعاً لها في سخنين لبحث الإجراءات والنشاطات التي ستنظمها الحركة بالتنسيق مع القوى الأخرى عشية يوم الأرض الخالد في الثلاثين من آذار.

محمد كمال - الناطق باسم الحركة

بيان صادر عن القيادة الموحدة للجبهتين الشعبية والديمقراطية في الأراضي الفلسطينية

شهدت ساحتنا الفلسطينية داخل ربوع الوطن وخلال الأيام القليلة الماضية تفاعلات إجتماعية بلغت ذروتها أثناء الإحتفال بالثامن من آذار باعتباره يوماً خاصاً لتكريم النساء والتأكيد على حقوقهن باعتبارهن يشكلن نصف المجتمع.

وقد تزامنت هذه الإحتفالات والمناسبة مع حركة نشطة لمنظمة أهلية فلسطينية هي - مركز المرأة للإرشاد القانوني - والتي تقوم بنشاط يهدف إلى خلق حالة من النشاط والجدل إزاء مجموعة من الحقوق والتشريعات الأساسية للفرد في المجتمع سواء كان رجلاً أم إمرأة.

إن موضوع نشاط البرلمان الصوري ليس هو ما يستدعي إصدار بيان للرأي العام وتحديد موقف... بل إن ما استدعى ذلك هو دلالات تلك المحاولات التي هدفت إلى خنق الأصوات والتعبير عن الرأي.

إن المسألة وكما نراها تتجاوز كثيراً موضوع حق الزواج بأكثر من إمرأة أو التوريث وتوزيع التركات... إن المسألة تطال حقاً أساسياً لمجموعة بل لفئات واسعة من أبناء شعبنا في التعبير عن رأيها بشأن حركتها ومستقبلها وتقرير مصيرها ومصير أبنائها على صعيد اجتماعي.

ومن هنا فإننا نعلن رفضنا لكل محاولات كم الأفواه والتخويف والتعبير عن الرأي، ونرى في هذه المحاولات خطوات تعيد شعبنا التائق للحرية والإنعتاق إلى الوراء.

إننا في الجبهتين إذ نتوجه بهذا البيان إلى شعبنا الفلسطيني بكافة طبقاته وفئاته الإجتماعية وتعبيراته السياسية والمجتمعية... فإننا نتوجه لرفاقنا في المنظمات الحزبية المنتشرة في مختلف مواقع الوطن، العمل بجدية وجراة من أجل الدفاع عن الحقوق والحريات العامة... والإبقاء على راية النضال الإجتماعي من أجل مجتمع ديمقراطي حر وسعيد خفاقة في سماء الوطن.

كلمة الرفيق «تيسير قبعة» أمام المؤتمر البرلماني العربي الأفريقي الثامن

القى الرفيق تيسير قبعة عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ونائب رئيس المجلس الوطني الفلسطيني كلمة في المؤتمر البرلماني العربي الأفريقي الثامن المنعقد في مدينة «كونونو» جمهورية بينين من ٤-٧ مارس (آذار) ١٩٩٨. وفيما يلي أبرز ما ورد فيها:

بعد مرور أربعة عشر عاماً على انعقاد المؤتمر التأسيسي الأول للحوار البرلماني العربي الأفريقي، ينعقد اليوم المؤتمر الثامن ليشكل محطة جديدة في مسيرة تعزيز الحوار والعلاقات والتعاون المشترك بين البرلمانات العربية والأفريقية.

وإذ اتقدم باسمي ونيابة عن زملائي أعضاء الوفد البرلماني الفلسطيني المشارك بالتحية والشكر للسيد برونو أموسو، رئيس الجمعية الوطنية البينينية، رئيس البرلمانات الإفريقية على الدعوة الكريمة لحضور المؤتمر وتنظيم انعقاده على هذه الأرض الطيبة، وعلى حسن الإستقبال والضيافة، فإنه لايسعني إلا أن أؤكد على العلاقات الطيبة وأواصر الصداقة الحميمة التي تربط المجلس الوطني الفلسطيني والشعب الفلسطيني بالجمعية الوطنية البينينية والشعب البينيني وكافة البرلمانات والشعوب الأفريقية الصديقة.

ولقد بات من الملح أن تلعب برلماناتنا دوراً أساسياً في تعزيز دمقرطة الحياة السياسية وبناء المجتمعات المدنية والمساهمة الفاعلة في وضع حد لكل الحروب والإضطرابات الداخلية.

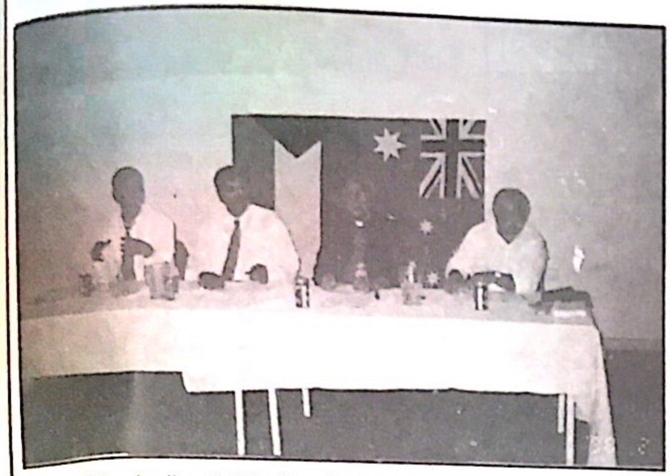
وعلى الرغم من أننا لم نتمكن من انتزاع حق العضوية الكاملة في الإتحاد البرلماني الدولي في مؤتمره الأخير، إلا اننا لازلنا نتمسك بهذا المطلب المشروع باعتباره حقاً لفلسطين. ينسجم مع التزامنا بمبادئ وقرارات الإتحاد البرلماني الدولي ودرورنا فيه ويؤكد قرارات الشرعية الدولية التي تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد لشعبنا وبحق شعبنا في تقرير المصير و الإستقلال والسيادة. وإننا نتطلع بأمل كبير لدعمكم جميعاً. ففي التأكيد على الحق الفلسطيني، وقوف إلى جانب الإنصاف والعدل.

وفيما تمارس إسرائيل ارهابها المنظم ضد شعبنا الفلسطيني وتحاول فرض إملاءاتها وشروطها وتستبيح سيادة الدول المجاورة، وتعتدي يومياً على الأبرياء في فلسطين ولبنان وغيرها، تلقى التأييد والدعم والسكوت عن تسلحها الكيماوي والذري والنووي ورفضها توقيع اتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية وإخضاع صناعتها الحربية لرقابة دولية، بينما يجري استمرار حصار العراق وتجويع شعبه وأطفاله ويستمر الحصار على الجماهيرية الليبية وتفرض المقاطعة على السودان، ويمارس ضغط سياسي على العديد من الدول، وإننا إذ نستنكر هذه السياسات، وندعو كمجلس وطني فلسطيني لإيجاد حلول دبلوماسية للازمات الدولية والإقليمية وعدم اللجوء للحرب والعدوان ونطالب بفك الحصار عن العراق وإننا إذ نثمن الإتفاق الذي تم التوصل إليه بين العراق والأمم المتحدة ممثلة بشخص أمينها العام كوفي عنان، لنطالب بسحب القوات الأجنبية التي جاءت إلى المنطقة بحجة هذه الأزمة كما أننا نرحب بقرار محكمة العدل الدولية بخصوص قضية لوكربي والجماهيرية الليبية والسودان وإحترام حرمة وسيادة وكرامة الدول والشعوب.

لايمكننا كبرلمانيين أن نسكت على هذه الممارسة التي تتعامل مع الشرعية الدولية بمعايير ومكاييل مختلفة، فإسرائيل ليست فوق القانون الدولي، وقد آن الأوان للمجتمع الدولي بعد خمسين عاماً على نكبة الشعب الفلسطيني وتشرده ومعاناته، أن يضع حداً لذلك من خلال تطبيق قرارات الشرعية الدولية ذات الصلة وتفعيل الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، لتنصاع إسرائيل لهذه القرارات وتلتزم بتنفيذها.

وبمناسبة مرور خمسين عاماً على النكبة نتطلع لدعم الجميع ومؤازرتهم لشعبنا، لرفع الظلم والإجحاف اللذين لحقا به جراء احتلال أرضه وتشريده وحرمانه من حقه في الحرية والإستقلال والسيادة. وإذ نتطلع لدوركم الفاعل على هذا الصعيد، فإننا نؤكد حرصنا على السلام العادل والشامل والدائم، مؤكدين بان استحقاقات السلام تتطلب مراعاة حقوق ومصالح الجميع وإن حقنا كشعب فلسطيني ليس باقل من حق اي شعب آخر في تقرير مصيره بحرية وإقامة دولته المستقلة والعيش بحرية وأمان وكرامة.

ندوة في أوستراليا حول القدس في الخطابين الديني والقومي



في ندوة فكرية سياسية عنوانها القدس في الخطابين الديني والقومي، وفي قاعة الويستيلا الكبرى وبحضور عدد كبير من أبناء الجالية العربية الذين حضروا تلبية لدعوة الجامعة الثقافية الفلسطينية التي اخذت على عاتقها الدفاع عن القضية العربية وأهم عناوينها مدينة القدس. استضافت الجامعة المطران عصام درويش والمفكر جان بشارة والدكتور جمال ابراهيم. وقد أدار الندوة وقدم لها المهندس حسن غنام المسؤول الثقافي للجامعة الذي قدّم لمحة تعكس الخلفية التاريخية والدينية والقانونية للمدينة المقدسة.

نشاطات وفعاليات بمناسبة يوم المعلم العربي

بدعوة من منظمة الشبيبة الفلسطينية بحلب أقيم احتفال تكريمي للمعلمين بيوم المعلم العربي ١٩٩٨/٣/١٦ وحضره عدد غفير من جمهور المعلمين إلى جانب بعض الرفاق والأصدقاء وافتتح الإحتفال بكلمة ترحيبية ألقاها أحد أعضاء الوحدة الشبيبية الرفيق سامر الصالح مؤكداً على أهمية المناسبة والدور الخاص للمعلمين في بناء الحضارات والمجتمعات المتطورة ودور خاص في بناء الأجيال الوطنية المتمسكة بقضيتها الوطنية وتحصين الشباب بثقافة وطنية في مجابهة سياسات الإستسلام.

كما وألقى الرفيق نزار القاضي عضو قيادة منطقة الشمال كلمة باسم مكتب المعلمين في الجبهة بحلب مخاطباً جمهور المعلمين بضرورة شحذ الهمم في عملية المواجهة لمخاطر التوطين والتهجير التي يتعرض لها اللاجئون الفلسطينيون والتمسك بحق العودة وكما يجب التنبه لمخاطر التطبيع الثقافي ومقاومتها من خلال التمسك بالثوابت الوطنية ومحاربة مشاريع الإستسلام...

وبعد ذلك ألقى الرفيق عمر مراد مسؤول منطقة الشمال مداخلة سياسية متطرقاً لأخر المستجدات سيما في الجانب الفلسطيني مأزق أوسلو - والمقاومة الشعبية في الداخل ومأزق المعارضة وعدم التوصل إلى البديل الوطني حتى هذه اللحظة وأسباب ذلك وبرنامج الجبهة في مواجهة سلطة الإحتلال وسلطة الحكم الذاتي كما تم الإشارة إلى تخفيضات الأونروا وخاصة في مجالات التعليم وما يعكسه من نتائج سلبية على جمهور التلاميذ والمعلمين وعلى المستوى التعليمي بشكل عام وضرورة التنبه لمخاطر ذلك والتصدي لها خاصة وأن هذه التخفيضات مرتبطة باتفاقات أوسلو المذلة. والتي تتجاهل كلياً حقوق اللاجئين ومستقبلهم...

كما وتطرق إلى ضرورة تفعيل إتحاد المعلمين الفلسطينيين وعدم السكوت على الواقع البيروقراطي لهذا الإتحاد.

وبعد ذلك دار حوار مطول من عدد من الحضور مطالبين الجبهة الشعبية بضرورة تفعيل دورها الإعلامي والكفاحي كما وثمن الحضور هذه المبادرة الكريمة من الجبهة التي تؤكد على دور العلم في المعركة.

الموقف الإسرائيلي الأمريكي من القرار ٤٢٥:

إلى متى تبقى المبادرة في اليد الأمريكية ـ الإسرائيلية؟

راجي أبو فادي

في محاولة يائسة من جانب دوائر صنع القرار السياسي الإسرائيلي، لتبريد وتهدئة الجبهة الداخلية، نتيجة الأزمات السياسية والإقتصادية والإجتماعية، فضلاً عن المفاعيل السلبية لعمليات المقاومة الإسلامية والوطنية على معنويات أفراد المؤسسة العسكرية/ عائلاتهم. واصل رئيس الحكومة الإسرائيلية ووزير دفاعه اسحق موردخاي وبالتنسيق مع الإدارة الأمريكية وتحت غطاء من القصف الإعلامي وظف له كل الأجهزة والمؤسسات الإعلامية في الداخل والخارج، شن هجوماً دبلوماسياً واسعاً تحت عنوان لبنان أولاً، وتطبيق قرار ٤٢٥ وفق المفهوم الإسرائيلي، واقترن الهجوم الإسرائيلي بتحركات مباشرة، شملت كل من: فرنسا، المانيا، النرويج، إسبانيا، في محاولة لتسويق المفهوم الإسرائيلي لقرار ٤٢٥ والإلتفاف على سوريا وعزلها والحد من حركة المجموعة الأوربية مستندين إلى وصول المفاوضات على الجبهة الفلسطينية ـ الإسرائيلية إلى حائط مسدود بسبب التعنت الإسرائيلي.

وفي موازاة التحرك الإسرائيلي، تحركت القيادة السورية، فزار نائب الرئيس السوري السيد/ خدام يرافقه وزير الخارجية السيد/ فاروق الشرع: باريس، حيث التقيا المسؤولين الفرنسيين وكان التوافق قائماً فيما يتعلق بوحدة المسارين اللبناني والسوري. وزار الشرع بيروت، والتقى الرؤساء الثلاثة، والسفراء العرب المعتمدين لدى لبنان، حيث شرح لهم أبعاد المناورة الإسرائيلية، وشدد على وحدة المسارين ومما قاله: «لبنان بمقدار ما هو ورقة بيد سوريا، فإن سوريا ورقة بيد لبنان».

إن الهجمة الإسرائيلية والتصعيد العسكري المرافق، يطرحان أسئلة كثيرة ومشروعة تدور في أذهان العارفين لطبيعة الإستراتيجية الإسرائيلية وعقلية قادتها منها، ماذا يخفي العدو تحت غطاء هجومه الدبلوماسي والإعلامي حول قرار ٤٢٥؟ ما هي طبيعة التسوية التي يسعى لفرضها واعتمادها في مفاوضات المسارات الأخرى؟ هل نحن أمام مرحلة جديدة قائمة على التوافق الأمريكي ـ الإسرائيلي لأزمة المنطقة بعد الفشل على الجبهة العراقية؟ إن العدو يدرك تماماً أنه لا يوجد حل سياسي سريع لأزمة الوجود الإسرائيلي في الجنوب، ومن جهة أخرى، لن يتحمل إبقاء قواته تحت رحمة ضربات المقاومة الإسلامية والوطنية في إطار حرب استنزاف إلى سنوات.

في ضوء ما تقدم، فإن الرؤية للهجوم الدبلوماسي الإسرائيلي باتجاه القرار ٤٢٥، تشير إلى أن سيناريو العدو يقوم على تهيئة الرأي العام العالمي إلى أن اسرائيل هي الضحية الساعية للسلام، وهذا الإدعاء شكل تاريخياً جوهر المشروع الصهيوني الذي استندت إليه في عدوانها الدائم على الشعوب العربية، فيما الأطراف العربية تقف حجر عثرة دون تحقيقه، وقد تلجأ اسرائيل في هذا الإطار إلى إعادة تنظيم انتشار قواتها في الجنوب كخطوة لضمان أمن جنودها من جهة وتسبق المرحلة النهائية الكامنة وراء تحركها الديبلوماسي وهو بدء هجوم عسكري مضاد استنزافي قد يشمل منشآت مدنية حيوية داخل الأراضي اللبنانية تمهيداً لإلقاء القبض على الورقة اللبنانية ومحاصرة المقاومة الإسلامية التي شكلت إستناداً إلى مصدر سياسي فرنسي نقلته جريدة «الديار» في ١٩٩٨/١/١٩: «إن التقارير الديبلوماسية والعسكرية الغربية تؤكد بأن قوات حزب الله العاملة في جنوب لبنان في المنطقة المحاذية للشريط الذي تحتله إسرائيل لاتتجاوز ٦٠٠ رجل، ومع ذلك استطاعت أن تجعل كل قوات الجبهة الشمالية لإسرائيل في حالة حرب مستمرة، وهو ما يكلف الخزينة الإسرائيلية في شكل إجمالي حوالي مليوني دولار يومياً». ويضيف المصدر الفرنسي إلى أن ما يجري في الجنوب يقارنه البعض بتجربة مشابهة لما عانته الولايات المتحدة الأمريكية في فيتنام خلال عقدي الستينات والسبعينات.

إن إسرائيل تسعى لتعميم نموذج أوسلو القائم على قاعدة حماية المصالح الإسرائيلية أولاً، أي تعميم تجربة نتائج المفاوضات الإسرائيلية ـ الفلسطينية. إن الإدارة الأمريكية ستلعب في المرحلة القادمة دور الشريك الإستراتيجي لإسرائيل دون تحفظ، وهذا ما أكدته نتائج زيارة أولبرايت وزيرة خارجية أمريكا إلى لبنان في الصيف الماضي، عندما قالت: «إن لبنان مقدم على تغييرات وسنساهم فيها». تبع ذلك زيارة السيدة/ دانيل بلاتكيه إلى بيروت في النصف الثاني من شباط هذا العام، حيث حملت في حقيبتها ملفات سياسية وأمنية ساخنة وأكملت ما قالته أولبرايت، عندما قالت أيضاً: «إن قرار ٤٢٥ مرتبط بآلية نصّ عليها قرار ٤٢٦ وفسرته حسب الرؤية الأمريكية بأنه يهدف إلى إقامة الترتيبات الأمنية بين لبنان وإسرائيل بما يضمن سلامة حدود اسرائيل»، أي أنها قد تبنت بذلك الرؤية الإسرائيلية لتفسير قرار ٤٢٥.

لم تكتف السيدة/ دانيل بطرح ما تقدم، فانتهزت فرصة حفل العشاء الذي أقامه السفير الأمريكي في مبنى السفارة الأمريكية في عوكر على شرفها بحضور العديد من الشخصيات السياسية والفعاليات الإعلامية والثقافية، لتطلق عبارات من العيار الثقيل وبشكل تهكمي موجهة كلامها إلى الحاضرين بقولها: «إن قراركم ليس ملككم وإنني أعرف كيف تدار الأمور السياسية والأمنية والقضائية في لبنان». وتمادت في تحريضها إلى القول: «أن سوريا هي كل شيء، إنني أدعوكم إلى الضغط وإيجاد السبل المناسبة لحل المشكلة مع إسرائيل وإلا فإن لبنان سيدفع ثمناً إضافياً».

وفي محاولة لابتزاز الحكومة اللبنانية والضغط عليها والتلويح بقائمة الإرهاب، تعاطت السيدة/ دانيل مع بعض الجهات المسؤولة بمنطق استعلائي عندما ذكرت المقترحات الأمريكية لرفع الحظر الأمريكي الكامل عن الأشخاص والمؤسسات الأمريكية، للعمل في لبنان، وضرورة وجود هيئة أمنية مركزية واحدة للمطار تحت قيادة شخص واحد. كما أشارت إلى خطف الرهائن والجهات المسؤولة، عنها، حيث تتواجد في بيروت دون حسيب أو رقيب. وتوقفت دانيل أمام نسف مقري المارينز في بيروت وادعت أن المخابرات الأمريكية تحتفظ بملف خاص للقضية والأشخاص الذين نفذوا. وتساءلت عن سبب شمول العفو العام الأشخاص المتهمين في قتل السفير الأمريكي مياوي في بيروت عام ١٩٧٦.

إن أقوال كل من السيدة أولبرايت ودانييل بلاتكيه، يوحي أن الإدارة الأمريكية بجناحيها الجمهوري والديمقراطي ووفق تطابق في وجهات النظر مع إسرائيل في عدم ترك الساحة اللبنانية هادئة ومستقرة في زمن الإستحقاقات وسيعمل الطرفان وفق آلية واضحة لفصل النظم العربية، أي بمعنى آخر، إمكانية إلغاء مضمون العروبة، عبر التصدي لأي عمل عربي من شأنه أن يوحد الجهود العربية وان الإلتفاف على سوريا، بما تمثل من صمود سياسي ومساند قوي، سيبقى هدفاً إسرائيلياً ـ أمريكياً.

إن حقيقة ما يخطط له التحالف الإستراتيجي الأمريكي ـ الإسرائيلي، يتطلب توحيد الجهد العربي وفق رؤية استراتيجية عربية اقلها الدعوة لإنعقاد الجامعة العربية، في سبيل تحسين الأداء العربي والتضامن العربي الذي أكدته أزمة العراق الأخيرة. إن تحسن الأداء والتضامن كفيل بإحداث نقلة إيجابية، نتنفس من خلالها الصعداء. فهل تبقى المبادرة في اليد الأمريكية ـ الإسرائيلية للإستفراد بالمنطقة وتجري المفاوضات، وكل مسار على حدة؟■■

الإشتراكيون المغاربة

تحديات السلطة بعد أربعين عاماً من المعارضة

أحمد جابر

نعم. في المغرب مشهد مختلف، ففي السلطة حزب اشتراكي أمضى عمره معارضاً، وهي تجربة جديدة في العالم العربي، تجربة تستحق المعاينة عن قرب ففيها الكثير مما يستحق الكلام، هنا مقاربة:

بدأت منذ أسبوعين مرحلة جديدة في المغرب، بتشكيل حكومة جديدة يرأسها السيد عبد الرحمن اليوسفي رئيس الإتحاد الإشتراكي للقوات الشعبية المعارض.

وفي تعيين السيد اليوسفي وزيراً أول في المغرب، الكثير مما يستحق الإهتمام والمتابعة وهذا الكثير نابع من مستويين لايقل أحدهما أهمية عن الثاني: المستوى الأول يأتي من خصوصية الحياة السياسية المغربية، التي تسمح الآن ولأول مرة بوصول المعارضة إلى قمة السلطة التنفيذية عن طريق صناديق الإقتراع.

والمستوى الثاني يأتي عربياً، باعتبار أن هذا التغيير هو الأول من نوعه في العالم العربي، ولعله يفتح باباً أو نافذة نحو احترام أكبر لصناديق الإقتراع، أو السماح بوجودها أصلاً، في هذا العالم.

ومن هنا أستطيع القول أن لهذا التعيين دلالة رمزية أكبر من النتائج العملية، وهذه الدلالة في أنه يعطي أملاً، بأن من الممكن أن يحدث هذا عندنا (نحن العرب)، أعني تداولاً سلمياً للسلطة وإحتراماً لآراء الناس وتوجهاتهم دون انقلابات عسكرية أو اقتصادية، دون سفك دماء أو حريات.

وتأتي أهمية هذا التعيين مغربياً من عدة جهات أولها الطريقة التي تعامل بها الملك الحسن الثاني مع نتائج الإقتراع، حيث لم يتوقف بجمود أمام الحساب الحرفي للنتائج، هذا الحساب الذي أبعد الإتحاد الإشتراكي وحلفاءه المقربين عن التمتع بأغلبية برلمانية مؤهلة لتشكيل الأغلبية المطلوبة.

وبهذا الشكل يكون الملك قد وضع نفسه على مسافة متساوية من الجميع مما يشكل خطوة إضافية نحو تعزيز مصداقية التوجه نحو التناوب والديمقراطية وفكرة التبادل السلمي للسلطة خاصة إذا نظرنا إلى العلاقة الملتبسة تاريخياً للإتحاد الإشتراكي مع السلطة.

ومن ناحية أخرى عكس التعيين الأهمية المتزايدة للإتحاد الإشتراكي كقوة تتمتع بنفوذ شعبي واسع في الشارع المغربي، ومن شخصية اليوسفي الذي عكس نفسه على الدوام شخصية شعبية من الطراز الأول وزعيماً وطنياً وقائداً أساسياً في الشارع المغربي.

ولاشك أن تعيين اليوسفي وزيراً أول قد أثار الكثير من التكهنات السياسية سواء على مستوى المعارضة القادمة معه إلى السلطة، أوعلى مستوى السلطة السابقة الذاهبة إلى المعارضة.

فثمة ظلال كثيفة خيمت على طبيعة الحكومة المشكلة لعل أهمها طول المدة التي استغرقها اليوسفي في تشكيل حكومته، هذه المدة التي فسرت بطرق مختلفة، تراوحت ما بين النوايا الطيبة التي أعادت الموضوع إلى شخصية اليوسفي الصبور المدقق وطويل النفس، وبين من أراد أن يزرع الشك عبر القول أن هذا يعكس عجز السياسي المخضرم عن تشكيل حكومة ترضي الملك وبنفس الوقت حالة التجاذب بين أطراف التحالف المحيط بحزب الإتحاد الإشتراكي. بل وذهب البعض إلى القول أن تعيين اليوسفي ليس سوى مؤامرة هدفها إثبات عجز المعارضة عن تشكيل حكومة قادرة على ملء الفراغ خصوصاً بعد تجربة عام ١٩٩٣.

وبعيداً عن هذه التكهنات فإن الحكومة الجديدة قد جاءت بقوة، حيث تمكن اليوسفي عبر مشاوراته الطويلة من تحقيق أغلبية مطلقة، بأكثر من ١٨٠ مقعداً من أصل ٣٢٥، وهي تكفي لتشكيل حكومة تعمل تحت غطاء برلماني دافئ، وتمكن اليوسفي من إرضاء الملك من جهة وحلفائه من جهة أخرى وخاصة حزب الإستقلال الذي كان يرفض المشاركة ويطالب بإلغاء الإنتخابات.

في هذا السياق ثمة العديد من الدروس التي يقدمها المغرب اليوم تستحق منا الإهتمام والتحليل، أول هذه الدروس كما سبق واشرنا قدمته المؤسسة الملكية التي أقدمت على خطوه تحسب لها بتجاوزها كما قلنا القطيعة السياسية المريرة مع المعارضة وخاصة حزب الإتحاد وتكريس العملية التي بدأها الملك الحسن مبكراً عبر فكرة التناوب على الحكم وتعميق نهج التداول على السلطة التزاماً بخيارات الجمهور مما فتح الباب واسعاً أمام آفاق جديدة لتكريس نهج الديمقراطية في المؤسسات، وتطوير المجتمع وبناء دولة الحق والقانون.



الدرس الثاني يأتي من حزب الإتحاد الإشتراكي الذي يواصل التعهد بإلتزام برامجه التي جاء على أساسها إلى السلطة فقد أعلن عن تمسكه ببرنامجه الإشتراكي وربما يلاحظ البعض أن هذا هو الشيء المتوقع من كل حزب يحترم نفسه، ولكن أهمية ذلك تكمن في إعادة التأكيد أن قدوم الإشتراكيين إلى السلطة ليس مجرد صفقة محسوبة النتائج لحل تأزم لحظي وإنما تأتي في سياق عملية طبيعية لتطوير المجتمع ودمقرطته، ومن الكيفية التي أدار بها المشاورات الصعبة من أجل تشكيل الحكومة، وهذه الصعوبات التي كانت عرضة للتجاذب، وفي هذا السياق يأتي الإهتمام الكبير الذي أبداه اليوسفي لإنضمام حزب الإستقلال إلى الحكومة عاكساً فهماً تاريخياً لدور هذا الحزب دون التوقف بجمود أمام عدد المقاعد التي أحرزها في الإنتخابات.

وفي هذا السياق لابد من ملاحظة نموذج مشجع آخر هو إعلان الحركة الشعبية الدستورية التي تتمتع بـ ٩ مقاعد، ومنظمة العمل الديمقراطي بـ ٤ مقاعد، عدم مشاركتهما في الحكومة الجديدة والإكتفاء بتأييدها برلمانياً، وأعلن كل منهما بطريقته أن الإصلاح يتأتى فقط عن طريق الوجود في السلطة التنفيذية.

وأرى أن هذا يعكس نموذجاً مشجعاً لأنه يثبت أن ليس من الضروري لأحزاب المعارضة أن تتسابق إلى السلطة ومقاعد الحكومة لتثبت أنها موجودة إذ أن السلطة ليست هدفاً في حد ذاتها بقدر ما هو البرنامج وتنفيذه هو المهم، وهذا درس آخر يأتي من المغرب.

إلى ذلك فثمة الكثير من المهمات الصعبة التي تنتظر السيد اليوسفي في المرحلة القادمة حيث تزدحم على طاولته عدة ملفات لايقل أحدها أهمية عن الأخرى: فعلى الصعيد التحالفي، يعلم اليوسفي أن تحالفه ليس في أحسن أحواله نتيجة للخلافات وأحوال التجاذب الحاصلة والتي عكست نفسها في التشكيل الحكومي المعلن، كذلك سيكون مضطراً لمواجهة الثقافة الإدارية التقليدية المترسخة عبر زمن طويل والمناوئة تلقائياً للأفكار الجديدة، هذه الثقافة التي تتجسد بشكل خاص في الجهاز البيروقراطي الموجود وخصوصاً أيضاً في الفريق الذي سيبقى في مواقعه من الحكومة السابقة، حيث سيكون اليوسفي مضطراً لإدارة حكومة مختلطة إن صح التعبير، حيث الوزارات السيادية لن يحدث عليها أي تغيير على الأرجح، مع ما يمكن أن يعكسه ذلك على أداء الحكومة وانسجامها وكفاءتها.

يضاف إلى ذلك الوقت القصير الذي يجب أن تؤكد فيه الحكومة قدرتها على معالجة المشكلات القائمة والملفات الصعبة، فهناك ملف الإتحاد المغاربي الذي يبدو أنه يعاني من مرض مزمن بعد تسع سنوات على تأسيسه، رغم قدوم اليوسفي إلى السلطة في المغرب قد حمل إشارات إيجابية متبادلة خصوصاً مع الجزائر، حيث يتمتع اليوسفي بعلاقات جيدة مع القيادات السياسية الجزائرية مما يدعو للتفاؤل بإحداث تقدم في العلاقات في ظل حدود مغلقة منذ أربع سنوات، وإن كان التقدم سيرتهن لقدرة الجانبين على حل الملفات المتراكمة خصوصاً قضية الصحراء المقدمة على استفتاء يعاني من مشاكل متراكمة، وملف الحدود والأمن، وقضية الحوار مع أوربا وما يطرحه اتفاق الشراكة وكيفية إدارة الحوار في ظل اختلافات عميقة في وجهات النظر، وغيرها من القضايا.

وفي مواجهة العقبات التي تعترض اليوسفي، هناك عدة مؤشرات مشجعة، أبرزها تأييد الملك وثقته، ومساندة الرأي العام والأغلبية البرلمانية، إضافة إلى شخصية اليوسفي نفسه وطبيعة التحدي الذي تفرزه التجربة، والذي لاشك سيكون منصباً بشكل إيجابي في مصلحة التغيير.

أخيراً فلا شك أن التجربة ستكون صعبة والمهمات في السلطة أصعب منها في المعارضة لأنها ستكون معركة إثبات الذات، ثم معركة فرض جدوى التغيير.

فهل سينجح اليوسفي في امتحانه الديمقراطي؟ نأمل ذلك، ومهما كانت النتائج فإن المشهد القادم من المغرب يستحق التأمل بعمق ■■

منظمة المؤتمر الإسلامي:

قرارات متراكمة برسم التنفيذ!!

د. م أبو ناموس



٦٠ قراراً سياسياً منها ٦ قرارات تتعلق بالقضية الفلسطينية ومسألة القدس بالإضافة إلى العديد من القرارات القانونية، الإقتصادية، الثقافية، الإدارية، التنظيمية، ووضع الأقليات الإسلامية في العالم.

هذا ما تمخضت عنه اجتماعات ٥٥ دولة إسلامية وما يقارب من نصفها دول عربية في المؤتمر الخامس والعشرين لوزراء خارجية دول منظمة المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في الدوحة العاصمة القطرية، التي استضافت قبل ذلك المؤتمر الإقتصادي لبلدان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في تشرين الماضي بمشاركة إسرائيل ونزولاً عند الرغبة الأميركية.

القدس ذات مكانة خاصة عند العرب والمسلمين والمسيحيين، فهي اولى القبلتين وثالث الحرمين وفيها كنيسة القيامة، وتعتبر مفتاح الحرب والسلام في المنطقة فالدفاع عنها وحمايتها من التهويد مسؤولية جماعية لجميع العرب والمسلمين والمسيحيين على حد سواء.

فكما هومعلوم أن القمة الإسلامية، تأسست من أجل القدس، إثر حادث حريق المسجد الأقصى الذي قامت به العصابات الصهيونية في ١٩٦٩/٨/٢١م، ودستور المنظمة ينص على أن مقرها الرئيسي في مدينة القدس.

المتتبع للقمم الإسلامية وكل الهيئات المنبثقة عنها، بالتأكيد سوف يلحظ أن قراراتها اتجاه القدس والقضية الفلسطينية تاكيد لقرارات سابقة.

فمنذ قمة اسلام أباد مروراً بقمة طهران وصولاً لمؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية في الدوحة، تم التأكيد على أن القدس جزء لايتجزأ من الأراضي الفلسطينية المحتلة في عام ١٩٦٧ وينطبق عليها ما ينطبق على سائر الأراضي المحتلة بما في ذلك حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس.

ومطالبة المجتمع الدولي بالضغط على إسرائيل لمنعها تغيير معالم القدس، ووقف بناء المستوطنات وعدم الإعتداء على المقدسات، إضافة إلى الدعوة لإعادة النظر في علاقات الدول الأعضاء في المؤتمر الإسلامي مع إسرائيل وجعلها رهناً بالتزامها الإتفاقيات المبرمة في هذه العجالة لقراءة البيان الختامي والقرارات الصادرة عن المؤتمر، فلاشك أن هذه القرارات جيدة، ولكن هل يكفي صدور مثل هذه القرارات؟؟ وكفى المؤمنين شر القتال!!! .أكاد أجزم بأن هناك سؤالاً جوهرياً يطرح نفسه. ألم يحن الوقت لنقل هذه القرارات إلى حيز التطبيق؟؟ وتفعيل هذه المنظمة الهامة للعب دور فعال في الأمم المتحدة ومنظماتها.

أزعم أن الجواب نعم يمكن ذلك... ولكن كيف؟؟!!

في إطار الإجابة على هذا السؤال، أجد من الضرورة بمكان الإطلالة السريعة على المشهد السياسي في المنطقة.

على الصعيد العربي:

جاء انعقاد مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية في ظل أشرس هجمة امبريالية ـ صهيونية تشهدها المنطقة، تستهدف نهب ثرواتها والسيطرة على مقدراتها وتطويعها وتمزيقها. يشهد المواطن العربي ومعه العالم أجمع استخدام أبشع أنواع الأسلحة الفتاكة التي تستخدم ضد الشعب العراقي الشقيق من سياسة التجويع، واتساع دائرة الفقر وانتشار الأمراض الفتاكة التي تحصد العشرات يومياً من الأطفال، وعدم السماح بتعمير البنية التحتية شبه المدمرة.

وإصرار الولايات المتحدة وحلفائها على التزام العراق بتطبيق قرارات «الشرعية الدولية»، «الأمريكية» وتدمير أسلحة الدمار الشامل العراقية كما تشيع ذلك محاولة تعبئة الرأي العام العالمي بأن العراق يشكل تهديداً وخطراً على المنطقة والأمن العالمي.

لذلك مازالت قواتها وبوارجها وصورايخها ترابط في المنطقة بحجة إرغام العراق على الإنصياع «للشرعية الدولية».

الحصار والعقوبات المفروضة على ليبيا رغم قرار محكمة العدل الدولية والقاضي بالنظر في قضية طائرة لوكربي، والحصار المفروض على السودان، والحصار الدائم على الشعب الفلسطيني وسياسة التوسع الإستيطاني والقمع اليومي، والتنكر حتى للإتفاقيات الموقعة بين فريق أوسلو - والحكومات الإسرائيلية والتي لاتلبي الحد الأدنى من حقوق الشعب الفلسطيني في العودة وتقرير المصير والدولة المستقلة، والقدس التي تصر إسرائيل على أنها عاصمتها الأبدية وغير قابلة للتفاوض. وإصرار إسرائيل أن على سلطة الحكم الذاتي محاربة «الإرهاب» مما يعني جر الشعب الفلسطيني إلى حرب أهلية.

أما على صعيد سوريا ولبنان، فالعالم يشهد على الإعتداءات الإسرائيلية المتكررة واليومية لجنوب لبنان، ووضع الافخاخ على المسار السوري اللبناني بهدف تحقيق اختراقات على هذا الصعيد لفصل المسارين، وتفسير القرار ٤٢٥ القاضي بانسحاب إسرائيل الكامل والغير مشروط من جنوب لبنان، ليتسنى لها الإستفراد بسوريا، الحصن المنيع على الفتح الصهيوني الإمبريالي، والإعلان بأنها مستعدة للتفاوض مع سوريا بدون شروط مسبقة ودون الإستعداد للإنسحاب من الجولان السوري المحتل.

في ضوء ما تقدم، مازالت مكاتب الإتصال والسفارات الإسرائيلية متواجدة في بعض العواصم العربية والإسلامية وعمليات التطبيع معها مستمرة، رغم ما يعيثه من جرائم عملاء الموساد في عواصم هذه الدول.

إن الواقع العربي يعيش أسوأ حالاته، فهناك تباين في وجهات النظر والمواقف ينتابها الغموض والتلكوء والإهتزاز إزاء إسرائيل والولايات المتحدة الأميركية. فليس هناك عاقل ينتظر أن يتم حشد القوات العسكرية وإعلان الحرب على إسرائيل، ولانطالب بذلك، لإدراكنا حالة الواقع العربي البائس، ولكننا نطالب بما هو دون ذلك بكثير!! إننا ننتظر إعادة النظر في العلاقات العربية - العربية وصولاً للتنسيق بين الدول العربية على الحد الأدنى من القواسم المشتركة بما يخدم كل الأقطار العربية، ويجعلها تلعب دوراً اساسياً في منظمة المؤتمر الإسلامي.

على الصعيد الفلسطيني:

إن الحالة الفلسطينية التي وصلت بفضل اتفاق أوسلو المشؤوم إلى الإنقسام والتشرذم، ورهنت القضية الفلسطينية برمتها تحت رحمة إسرائيل والولايات المتحدة، وتم إبعاد أوربا والأمم المتحدة وقراراتها والمتعلقة بهذا الخصوص بأن تكون مرجعية للتفاوض، وفتح الباب واسعاً أمام اسرائيل لتحقيق المكاسب على الصعد الدبلوماسية والإقتصادية، والقدرة التسليحية.

إن إسرائيل اليوم تريد تحويل سلطة الحكم الذاتي الفلسطيني إلى أداة طيعة في يدها، متنكرة لكل ما تم الإتفاق عليه، وتربط كل ذلك بقبول الطرف الفلسطيني بالإملاءات الإسرائيلية وخصوصاً الأمنية، وتطالب بالشروع بمفاوضات الحل النهائي، مستثنية القدس، وحق العودة وتقرير المصير، والدولة المستقلة، والمستوطنات، والطرق الإلتفافية.

هذا هو المفهوم الإسرائيلي للسلام، تريد أن تحول السلطة الفلسطينية بوابة عبور للعالمين العربي والإسلامي.

إن فريق أوسلو يقر ويعترف اليوم بأن عملية السلام تلفظ أنفاسها الأخيرة، فالسؤال المطروح. لماذا الإستمرار في المفاوضات؟؟!! لماذا اللقاءات السرية والعلنية؟؟!! لماذا التنسيق الأمني؟؟!!

إن الوضع الفلسطيني اصبح أكثر من أي وقت مضى بحاجة لترتيب بيته الداخلي، وإعادة اللحمة لصفوفه، والبدء في حوار وطني فلسطيني شامل وجاد ومسؤول، على قاعدة المراجعة الجادة والشاملة لكل ما يسمى بالعملية السلمية، حتى يتسنى للعامل الفلسطيني لعب دوره الأساسي والهام لخصوصية قضيته، التي كانت ومازالت القاسم المشترك في ترتيب وتفعيل البيت العربي وإعطائه دفعة قوية ليلعب دوره الأساسي في كل المحافل الإسلامية والإقليمية والدولية.

على صعيد القوى الشعبية:

إن القاسم المشترك الذي يجمع بين القوى الديمقراطية والوطنية والإسلامية أكبر بكثير مما يفرقها وفي المقدمة المشروع الإمبريالي الصهيوني الذي يستهدف الجميع فالصهيونية منذ عام ١٨٩٧م وضعت لنفسها مشروعاً استراتيجياً، أشتق منه برامج وخطط عمل وأقامت المؤسسات ووفرت الإمكانيات لخدمة مشروعها، إضافة إلى المراجعة التي كانت تقوم بها لما حققته وما لم يتم تحقيقه، حتى تستطيع إنجاز ذلك.

أما بالمقابل فإن الجماهير العربية قد قاومت هذا المشروع وقدمت التضحيات الجسام ولكنها لم تستطع تحقيق النصر وهزيمة المشروع الصهيوني، السبب يعود في ذلك إلى حالة التشرذم والكراهية والعداء والصراع فيما بين القوى الإسلامية والوطنية والديمقراطية.

إن الجدية في مواجهة المشروع المعادي، تتطلب من هذه القوى الشروع في الحوار ما بين كافة الأطراف وقبول كل طرف بالطرف الآخر، لأن أهم ما يعانية مجتمعنا هو غياب الديمقراطية.

إن ما تقوم به الصهيونية والمنظمات اليهودية المتفرعة عنها من نشاطات فعالة في العالم وخاصة أوروبا والولايات المتحدة الأميركية. وما تقوم به من ضغوطات على هذه الدول حتى تتبنى قراراتها أو الخشية من اتخاذ قرارات تتعارض وتوجهاتها.

فهل تستطيع القوى الوطنية والديمقراطية والإسلامية أن تتحول إلى قوة ضغط على الحكومات الإسلامية؟؟!!

الجواب... نعم تستطيع ذلك إذا شرعت بالحوار الذي يؤدي إلى المصالحة التاريخية واعتماد الديمقراطية اسلوباً في عملها وتوجهاتها وبرامجها وعلاقاتها الداخلية، وجعلت نصب أعينها المصلحة الوطنية العامة فوق المصلحة الذاتية.

منظمة المؤتمر الإسلامي:

إن الولايات المتحدة الأميركية تعمل على محاولة ربط دول اسلامية أساسية ضمن إطار مخططاتها للسيطرة على المنطقة، وخير دليل على ذلك عودة المنطقة إلى سياسة الأحلاف القديمة ممثلة بالتحالف الأميركي الإسرائيلي التركي وما يشكله من مخاطر على دول الجوار خاصة وعلى المنطقة والعالم الإسلامي بشكل عام، إضافة إلى سياسة المعايير المزدوجة التي تتبعها ضد العالمين العربي والإسلامي والإستهتار بمشاعر المسلمين.

وفي ظل العجز في موازنة منظمة المؤتمر الإسلامي، والديون المتراكمة منذ سنوات عديدة وحاجة المنظمة إلى إعادة تجديد وإصلاح شاملين بعد مرور أكثر من ٢٥ عاماً على تأسيسها على الصعد الإدارية، المالية والهيكلية.

في ضوء هذا الوضع الذي تعاني منه المنظمة تصبح قراراتها مجرد إعلان موقف لاغير لأنها تفتقر لوسائل ضغط إقتصادية أو عسكرية. وإلا ماذا يعني قرار القمة الإسلامية الرابعة في طهران بضرورة جعل منطقة الشرق الأوسط خالية من أسلحة الدمار الشامل، ومن يملك هذه الترسانة من الأسلحة غير عدو الأمتين العربية والإسلامية المتمثل بإسرائيل المدعومة من أمريكا بلا حدود؟

إن المطلوب اليوم هو تطبيق ومتابعة قرارات قمة طهران الإسلامية الأخيرة وهذا يتطلب بادئ ذي بدء، الحوار الجاد والمسؤول لبناء الثقة لترسيخ الروابط الأخوية بين الدول الإسلامية، حتى يتسنى بناء وترسيخ استراتيجية، تواجه الإستراتيجية المعادية، والتعاون والتضامن بين الدول الإسلامية. وبناء قوة ذاتية إسلامية قادرة على الردع وانتزاع الحق ■■

أندونيسيا ـ الأزمة الإقتصادية ومأزق النظام

أيمن عوض

الأزمة الإقتصادية الحادة التي تشهدها أندونيسيا منذ ما يزيد عن الثلاثة شهور، تبعتها اضطرابات سياسية واجتماعية، وترافقت مع الإستحقاق الإنتخابي لرئيس البلاد «سوهارتو» لفترة رئاسية سابعة. وهو الذي أدار الحكم في أندونيسيا منذ ما يزيد على الـ ٣٢ عاماً بنظام فردي مطلق، بعد أن قام بانقلاب عسكري على حكم الرئيس «سوكارنو» أحد مؤسسي حركة عدم الإنحياز وبطل الإستقلال الأندونيسي راح ضحيته ما يزيد على الـ ٣٠٠ ألف قتيل من الوطنين والشيوعين. وكان «سوهارتو» حظي بدعم أمريكي ـ غربي لحركته ضد ما كان يعرف بالخطر الشيوعي في تلك المنطقة أثناء الحرب الباردة.

في ضوء ذلك وللموقع الإستراتيجي الذي تحتله اندونيسيا في آسيا، حيث عدد السكان يزيد على ٢٠٠ مليون والمساحة تمتد من استراليا وحتى جنوب الصين، فهي ستكون سداً منيعاً في وجه السيطرة وبسط النفوذ الشرقي على المنطقة. وترتب على ذلك اغراق البلاد التي تدور في الفلك الغربي بمساعدات ومعونات هائلة على مدى سنوات السبعينات والثمانينات، حيث تم توجيه الإستثمار الغربي إليها، مستفيدة من رخص الأيدي العاملة في تلك المناطق وقوانين تفضيلية في استثماراتها مفروضة على الحكومات التابعة. وكان لتسهيل دخول صادرات هذه الدول إلى الأسواق الغربية حوالي ٦٠٪ من الصادرات، هيمنة على تسويق هذه المنتجات.

في مقابل ذلك استفادت هذه الدول من تدفق رأس المال الغربي للإستثمار فيها، حيث حققت معدلات نمو عالية، أدت إلى إرتفاع مستمر في الإنتاج المحلي لهذه الدول.

ومع انتهاء الحرب الباردة بدا وكأن الدور الذي لعبته هذه الدول قد استنفد. وبالتالي كان أن خف الإهتمام الغربي للإستثمار في هذه الدول.

البعض من هذه الدول «تايوان، هونغ كونغ، كوريا الجنوبية وسنغافورة» كانت قد استفادت أكثر من غيرها في توجيه الإستثمارات.

فكان لإحتفاظ الدولة بالعديد من المؤسسات الإقتصادية أن ساهمت بشكل أساسي في النمو الإقتصادي، وكانت فرضت قيوداً على رأس المال الخاص ودفعته للتوجه نحو الصناعات عالية التقنية والإنتاجية، وأجبرته على ذلك من خلال أن تحسين نوعية المنتوجات شرط أساسي للإعانة الحكومية.

وكما أشرنا سابقاً فإن هناك دولاً استفادت من التدفق الهائل للإستثمارات الأجنبية عليها وتحديداً كوريا الجنوبية وتايوان، وحققت من ذلك إنتاجية عالية وتصنيعاً متقدماً يعتمد على التكنولوجيا الحديثة. وهو ما زاد في الدخل الفردي للمواطنين هناك. ولكن هناك دولاً أخرى من هذه المجموعة وتحديداً أندونيسيا لم تتقدم بتلك الحدود التي حققتها الدول الأخرى. وبقيت تراوح إلى حد ما في مصاف الدول النامية. ومن هنا نلاحظ أن تأثر أندونيسيا بالأزمة الإقتصادية الخانقة التي ضربت دول شرق آسيا كان أكثر من الدول الأخرى. وهو الأمر الذي دعا الرئيس «سوهارتو» للإعتراف بأن كل التقدم الإقتصادي الذي حققته أندونيسيا قد ذهب إلى غير رجعة وذلك حين أعلن خلال أدائه لليمين الدستوري أمام البرلمان «لن نتمتع مجدداً بإزدهار اقتصادي شبيه بالإزدهار الذي نعمنا فيه في الربع الأخير من هذا القرن»، واضاف «أيام الإزدهار ولت»، «في هذه الظروف الصعبة التي نعيشها ما نحتاج إليه هو مزيد من التضامن ومزيد من الوعي بأننا نتقاسم المصير نفسه والقدر نفسه» وكان قد دعا إلى «شد الأحزمة»، والإقتصاد الأندونيسي قام في الأساس على استدانة خارجية وصلت حوالي الـ ١٤٠ مليار دولار، كان نصفها للقطاع العام وهذا يكشف العيوب في الإقتصاد الأندونيسي، وكان للادارة البيروقراطية والفساد فيها الذي سهل لمنح مزايا اقتصادية ومالية كبيرة لأسرة الرئيس وجنرالات الجيش دور أساسي في تعزيز الأزمة الخانقة التي تمر بها أندونيسيا. وتميز الإنفاق الحكومي بالإفراط وهو ما قاد إلى غياب الإحتياطي المالي الذي كان يمكن أن يلعب دوراً مهماً في مواجهة الإنخفاض الكبير في سعر العملة المحلية «الروبية» أمام الدولار، حيث وصل سعرها إلى ١٥٠٠٠ روبية مقابل الدولار الواحد بعدما كانت ٢٥٠٠ روبية في منتصف العام الماضي.

وهو الأمر الذي دعا صندوق النقد الدولي إلى التدخل لمنع الإنهيار في النظام القائم في تلك البلاد، حيث وعد صندوق النقد الدولي بمساعدة قروض قيمتها ٤٠ مليار دولار لأندونيسيا شريطة تنفيذ خطة الصندوق للإصلاح الإقتصادي. هذه الشروط التي تدعو دائماً إلى انتهاج استراتيجية ليبرالية تعطي حداً أقصى من حرية ممكنة للرساميل المحلية والخارجية. وتحارب تدخل الدولة في الإقتصاد ووقف الدعم الحكومي للمواد الأساسية، ويطالب صندوق النقد بتخفيف قبضته الهائلة على الإقتصاد الأندونيسي وتحرير أسعار صرف الروبية والإبقاء على معدلات فائدة عالية وإلغاء وخصخصة المؤسسات الكبرى وكانت أندونيسيا قد حاولت في البداية رفض شروط صندوق النقد الدولي ولكنها لم تجد مخرجاً آخر من العودة لمفاوضات مع الصندوق حول هذه الشروط.

والأسباب الرئيسية للرفض تعود إلى ما قاله «سوهارتو» نفسه بأن برنامج الإصلاحات الذي اقترحه صندوق النقد الدولي «لا يتلاءم وحاجات السوق الأندونيسي» حيث انه وبفرضه لإقتصاد ليبرالي لايتلاءم مع البند الثالث والثلاثين من الدستور الموضوع في العام ١٩٤٥ والذي ينص على تنظيم الإقتصاد وفقاً لمبادئ الأسرة. مما أثار ردة الفعل لدى صندوق النقد والولايات المتحدة وتم تعيين الدفعة الثانية من قرض الأربعين مليار إلى أن تلتزم أندونيسيا بهذه الشروط.

ولو حاولنا إلقاء الضوء على ما تقوم به الأسرة الحاكمة من النشاطات الإقتصادية لوجدنا التالي:

- «سيتي هريتجنتى» الإبنة الأولى لسوهارتو، تسيطر على مجموعة «سيترا لامبورغونوغ» الضخمة التي يشمل نشاطها الأشغال العامة والتلفزيون وصناعة الورق.
- «سيجيت» الإبن الأكبر لسوهارتو، يملك أكبر شركات التأمين «مجموعة توغو» وهو أكبر

المساهمين في «بنك سنترال آسيا».

- «بنمبانغ» الإبن الثاني لسوهارتو، يترأس مجموعة «بيحاترا» الضخمة التي تملك مصافي بترول ومصانع البتروكيماويات.
- «تومي» الإبن الثالث لسوهارتو، يملك مجموعة ضخمة من المصالح التجارية أهمها مجموعة «هومبرس» لتجميع السيارات والتامين والمصارف.
- «تيتي» الإبنة الثالثة لسوهارتو، تترأس مجموعة اقتصادية تعمل في البناء والأشغال العامة والمصارف والتأمين والصناعة، وهي زوجة الجنرال «سوبيانو» قائد القوات الخاصة والعمود الفقري للجيش.

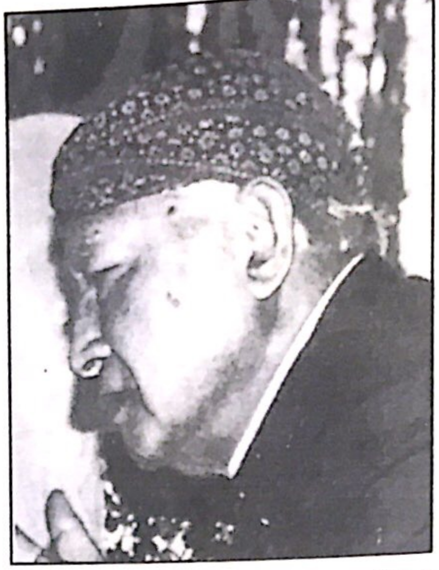
يضاف لذلك أن أبناء وعائلة سوهارتو كانوا مالكين لأكبر ١٦ مصرفاً في أندونيسيا جميعها أعلنت الإفلاس.

ومن هنا نلاحظ أن سوهارتو وعلى مدار سني حكمه قد جعل من عائلته وضباط الجيش المسيطر الأول على مفاصل الإقتصاد في البلاد.

لقد حاول سوهارتو الإلتفاف على شروط صندوق النقد الدولي وتحديداً حول العملة الأندونيسية بأن اقترح فكرة «مجلس العملة» وهو المعني بربط العملة المحلية بالدولار، حيث أشار سوهارتو إلى أن صندوق النقد الدولي من خلال الخطة التي اعتمدها للإصلاحات الإقتصادية في أندونيسيا فشلت في إنقاذ ودعم الروبية، وإن الوقت يوشك أن ينفد لمنع الآثار التضخمية الناتجة عن ضعف العملة من إلحاق مزيد من الأضرار بالإقتصاد الأندونيسي.

من جهته كان صندوق النقد الدولي قد رفض اقتراح «مجلس العملة» وذلك يعود إلى أن مصيره الفشل بسبب عدم كفاية احتياطيات أندونيسيا من العملات الأجنبية والإفتقار للتأييد الشعبي لذلك وهو ما يعني أن المجلس المقترح لن يكون وسيلة لتحقيق استقرار للروبية. وتعمل اليابان على دعم الغرب وصندوق النقد الدولي تجاه أن تنفذ أندونيسيا شروط الصندوق الدولي في الإصلاح الإقتصادي، وتحاول اليابان الضغط على أندونيسيا من أجل تنفيذ هذه الشروط من خلال تقليص حجم الإستثمارات اليابانية في دول شرق آسيا عموماً وأندونيسيا خصوصاً.

فلو قارنا ما بين حجم الإستثمار الياباني في السوق الأسيوية منذ العام ٩٦ مقياساً بالعام ٩٧ لوجدنا أن هناك تراجعاً كبيراً وصل إلى حد ٢٥٪ من إجمالي الإستثمار الياباني في هذه الدول، فبينما كانت تستثمر في أندونيسيا عام ١٩٩٦ ما قيمته ٢,١٢٥ مليار دولار فإن الإستثمار هذا عاد وتراجع عام ٩٧ ليصل إلى ١,٥٨٠ مليار دولار أي بفارق ٥٤٥ مليون دولار، وهي تعادل نسبة ٢٥٪ من إجمالي الإستثمار في العام ٩٦. وإذا ما استدركنا مشكلة البورصة في هونغ كونغ فإننا نجد أن أندونيسيا وهونغ كونغ كانتا الأكثر تأثراً من غيرهما من دول المنطقة في تراجع الإستثمار



الياباني.

ومن ناحية ثانيةكانت اليابان قد وعدت بتقديم قرض للمساعدة في تخطي الأزمة الإقتصادية في أندونيسيا، ولكنها عادت وتقاعصت في تقديم هذا القرض وإن كانت قد أكدت بأنها مازالت عند موقفها من تقديم هذا القرض.

وهذا بحد ذاته هو رسالة من اليابان إلى أندونيسيا لدفعها لتنفيذ شروط صندوق النقد الدولي الخاص بالإصلاحات الإقتصادية. وبالرغم من أن صندوق النقد الدولي يعرف تماماً بأن هذه الشروط التي وضعها لتخطي الأزمة الحادة في أندونيسيا مقابل تقديمه القروض لها هي اساس سعي الصندوق لمزيد من فرض السيطرة على الإقتصاد الأندونيسي نيابة عن الدول الصناعية الكبرى الأخرى ويعرف مسبقاً أن هذه الشروط ستكون محل رفض في البداية من أندونيسيا، إلا أن الغرب وصندوق النقد متأكدان من أن لامخرج أمام النظام من سلوك باب المفاوضات وفي النهاية الخضوع لهذه الشروط لإنقاذ نفسه من الأزمة التي طالت الجوانب الإجتماعية والسياسية بعد أن هزت الإقتصاد الأندونيسي بقوة وعنف.

وعملياً فإن صندوق النقد الدولي ومن يقف وراءه لايبدي أي إهتمام بالجوانب الإجتماعية والسياسية الأخرى، ويحصر همه في الجانب الإقتصادي.

لقد كان أساس الرفض الأندونيسي لشروط صندوق النقد الدولي غير نابع من محاولات أندونيسيا الخروج من التبعية للغرب والرضوخ للشروط، ولكن كون هذه الشروط تطال مصالح العائلة الحاكمة في تلك البلاد.

ولإدراك الغرب وصندوق النقد الدولي بأن الأزمة إذا ما بقيت على حالها في أندونيسيا، فإنها ستنعكس سلباً على دول الجوار المنهكة هي الأخرى بأزماتها الإقتصادية الحادة، فإن هذه الدول ستعمل على حمل أندونيسيا للقبول بهذه الشروط والخضوع لها، فقد زاد هذا من تشدد الغرب وصندوق النقد الدولي حيال الأوضاع في أندونيسيا.

ويأتي التشدد الغربي في الأساس من معرفة أن المخرج الوحيد لأندونيسيا لن يكون خارج إطار صندوق النقد، سيما وأن اليابان وأمريكا أصبحتا تتبادلان الإتهامات حيال عدم الجدية في المساهمة بإنقاذ الأمور في أندونيسيا، وعدم بذل الجهد الكافي لحل الأزمة، وتكاد هذه الدول تصل إلى نتيجة أن النظام لن يستطيع تجاوز الأزمة، وأن الديون لن تعني الحل بل التأجيل، وبالتالي فأي من هذه الدول غير مستعدة لتحمل التكاليف التي تبلغ عشرات المليارات ومن دون جدوى معقولة.

ومن هنا كان لابد من خيار القبول والمفاوضات مع صندوق النقد أمام أندونيسيا وكانت بذلك أندونيسيا «النظام» يقف على مفترق طرق فما يمكن أن يقوم به في داخل البلاد للمحافظة على المواقع والإمتيازات شيء والمفاوضات مع المؤسسات المالية العالمية للحصول على القروض والدعم شيء آخر. وبالتالي فإنه لامفر أمام أندونيسيا سوى القبول والرضوخ لشروط الصندوق الدولي للخروج من الأزمة الحالية. وما يحاول به الآن «سوهارتو» حاول به من قبل «مهاتير محمد» رئيس وزراء ماليزيا الذي ضربت بلاده أزمة اقتصادية حادة أيضاً عندما أثار ضجة كبيرة في وجه شركات الإستثمار العالمية واتهمها بالتلاعب بمصير الدول النامية وكسب المليارات عن طريق المضاربة بعملاتها.

ولكنه عاد وتراجع عن انتقاداته عندما شاهد ردات الفعل العكسية على حركة الرأسمال العالمي في بلاده. حيث بدأت بالإبتعاد عن ماليزيا، ولكن ما يميز ماليزيا عن أندونيسيا أن الأزمة المالية كانت أخف في ماليزيا بسبب عدم وجود التكتلات الإقتصادية الإحتكارية وتوازن التقدم الإجتماعي نسبياً مع النمو الإقتصادي نظراً للكثافة المتدنية للسكان.

تبقى الإشارة إلى أن الأزمة في دول شرق آسيا ليست عابرة ووعد سوهارتو لشعبه بأن زمن الإزدهار قد ولى إلى غير رجعة فإنه بذلك يعد شعبه إلى مزيد من الويلات والقمع، ومزيد من الجوع مادام هو في السلطة، ويؤكد بقاءه في السلطة بأنه مصمم على أن يكمل الفترة الرئاسية السابعة بعون الله بغض النظر عن كل المصائب التي تعم البلاد وحتى لو أدى ذلك إلى رهن بيع البلاد للغرب وصندوق النقد الدولي.

وخلاصة القول فإن دول العالم النامي ستكون تنميتها قابلة للإنتكاس ولن تتمكن من الإزدهار والإنتعاش الإقتصادي ما دامت هذه الدول تعيش التنمية التابعة التي تفتقد الديمقراطية والتي لاتضمن التوجه بالتنمية لغالبية الشعب بل لحساب فئة محدودة منه ■■

تركيا مازالت تبحث عن نفسها

حسن العاصي

عادت مسألة الهوية تطرح نفسها بشدة مرة أخرى على تركيا، ومن أوسع الأبواب وأعقدها، وتجعل من الخيارات السياسية، والإنتماء الحضاري لتركيا أسئلة بلا إجابات. وعادت الأضواء تتسلط من جديد على الحياة السياسية التركية التي تعيش أزمة جديدة، بعد إعادة الجدل حول دور الجيش في التصدي للأصولية الإسلامية. وقد بلغت هذه الأزمة حداً دفع رئيس الوزراء التركي «مسعود يلماظ» بفتح سجال حاد مع جنرالات الجيش، الذي دعاهم للمرة الثانية خلال اسبوع، إلى الإهتمام بالشؤون العسكرية، وترك مكافحة النزعة الأصولية الدينية للحكومة.



فالجيش الذي يعتبر حارس العلمانية التي أرسى دعائمها «مصطفى أتاتورك» كان له الدور الأساسي في الإطاحة بحكومة «أربكان» زعيم حزب الرفاه الإسلامي العام الماضي، عاد من جديد ليمارس نفوذه السياسي في الضغط على حكومة «يلماظ» الإئتلافية، لتصعيد إجراءاتها ضد الإسلاميين، إذ يعتبر أنها تنتهج سياسة متساهلة إزاء الأصولية، مما يهدد بعودة شبح الإنقلابات العسكرية للحياة السياسية في تركيا مرة أخرى.

لحظة خطيرة للديمقراطية التركية، فالقرار الذي اتخذته المؤسسة العلمانية بحل حزب الرفاه هو في حقيقته تقويض لإحدى الدعائم الرئيسية للجمهورية التي أسسها أتاتورك. إذ يظهر بوضوح المفارقة الغريبة في لجوء العلمانيين إلى الجيش الذي حكم البلاد ثلاث مرات منذ عام ١٩٦٠، كملاذ أخير للإطاحة بحكومة أربكان، ووقف ما أسموه بالنشاطات الخطيرة لحزب الرفاه، حتى ولو كان على حساب الديمقراطية. في حين يستقوي الإسلاميون - على نقيض النموذج الشائع في الحركات الإسلامية - بالديمقراطية نفسها للإمساك بخيوط اللعبة السياسية إلا أن هناك ما يشير إلى أن الوضع مهدد بالخروج عن سيطرة القيادات الإسلامية المعتدلة، إذ يمكن أن تبرز جماعات تجنح نحو العنف باعتباره الرد الوحيد على التعسف العلماني، خاصة بين الشباب الذين يشعرون باليأس والخيبة، عقب قرار حل حزب الرفاه الذي لم تستطع حكومة زعيمه أن تعيد صياغة شروط النقاش السياسي والإجتماعي في تركيا، رغم التنازلات التي قدمها أربكان للمؤسسة العلمانية، والتي كانت بمثابة فرصة لعقلنة الجموح عند الطرفين الإسلامي والعلماني، ومنح البلاد فرصة إعادة ترتيب الأوضاع الداخلية والتخفيف من الإحتقان الإجتماعي والإنهيار الإقتصادي.

إن ما يخيف العلمانيين والجيش التركي، هو إدراكهم أن منح الأتراك حرية تقرير دور الدين في الحياة العامة، سيفتح الطريق أمام أسلمة المجتمع، من هنا يمكن فهم الأسباب وراء حملة الجيش ضد أربكان وإسقاط حكومته، وحل حزبه، وحظره من ممارسة العمل السياسي لخمس سنوات ومن ثم مصادرة الأرصدة المصرفية للحزب، مما دفع بمعظم نواب حزب الرفاه للإنتقال إلى حزب «الفضيلة» الذي تم تأسيسه قبل بضعة أشهر تحسباً لصدور قرار الحظر. ولذات الأسباب همس جنرالات الجيش في أذن الرئيس التركي «سليمان ديميريل» مؤخراً بضرورة تصعيد أشكال التصدي للنزعة الإسلامية، معتبرين أنها الخطر الرئيسي الذي يهدد النظام العلماني، وقدموا له تقريراً يشير إلى أن الإسلاميين يتلقون دعماً سنوياً بقيمة ١٥ مليار دولار لإقامة دولة إسلامية، إلا أن رد «يلماظ» كان سريعاً وعنيفاً، وصل إلى درجة أنه طالب بحل مجموعة العمل الغربية، وهي هيئة عسكرية تأسست لمراقبة نشاطات الإسلاميين. ونعتقد أن وراء موقف «يلماظ» المتشدد تكمن رغبته في إظهار نفسه للغربيين أنه رجل يدافع عن الديمقراطية، في وقت أوصدت فيه أوربا الباب في وجه تركيا أواخر العام الماضي، بعد سنوات من الغزل والتوسل. إضافة إلى سعيه لكسب ود الناخبين الإسلاميين الناقمين على العسكر، إثر قرار حل حزب الرفاه، والأهم من هذا كله معرفة كافة الأطراف أن البرلمان الحالي المشتت لايمكن أن يفرز حكومة بديلة لايكون الإسلاميون أعضاء فيها، ويبدو أن يلماظ يراهن أيضاً على عدم إقدام الجيش لخيار حل البرلمان والسيطرة على السلطة، وبذلك يكون قد أوصد الباب أمام أية فرصة لإنضمام تركيا للإتحاد الأوروبي.

نعود إلى الموضوع الجوهري. هل التهديد الذي تتعرض له العلمانية يأتي حقيقة من القوى الإسلامية، والممارسات الدينية نفسها، أم أن الخطر الحقيقي الذي يهدد استقرار تركيا وهو ذات السبب الذي دفع أوروبا برفض عضوية تركيا باتحادها، يأتي من الإنعكاسات السلبية لسياسات اقتصادية عشوائية، التي خلقت جيشاً من العاطلين عن العمل، وأدت إلى تضخم اقتصادي، وديون خارجية بلغت حوالي ٧٤ مليار دولار، ومن جملة المشاكل العرقية والطائفية، ومن التحالف مع الكيان الصهيوني، الذي يلقى رفضاً واسعاً من الشارع التركي، ومن سياسة استعداء الجيران، ضمن هذه الصورة يبرز الإسلام الأصولي كبديل راديكالي في النظام التركي، وسيستمر هذا الإتجاه في التقدم طالما أن العوامل التي أدت إلى صعوده مستمرة في التوالد والتزايد، وهو ما يضع البلاد أمام مرحلة حرجة، قد تكون الحرب الأهلية إحدى أبرز مخاطرها، يعزز هذا الإحتمال أن القاعدة العريضة لحزب الرفاه، الذي يضم في صفوفه أربعة ملايين عضو، لن تقف متفرجة وهي ترى زعيمها يعاقب على اعتداله، وإذا لم تقدم قيادة الحزب على خطوات من شأنها امتصاص غضب أنصاره، فالوضع يهدد بمزيد من التفاقم.

ويبدو أن الحل يكمن في توليفة للعلمانية وللإسلام، وفي تغيير نهج الأحزاب السياسية بضبط الأوضاع الداخلية، وإدارة الصراع لوقف الأزمات المتلاحقة التي تعصف بتركيا ■■

قضايا ثقافية

الهدف الثقافي

في يوم المسرح العالمي:

هل دُفنت مشاريع سعد الدين وهبة وسعد الله ونوس معهما؟!

في ٢٧ آذار «مارس» الجاري، يحتفل العالم بيوم المسرح العالمي، وإذا كانت مسارح العالم، تتذكّر في مثل هذا اليوم كبار مبدعيها في هذا الحقل من كتّاب، وفنانين، ومخرجين... لتأكيد، وتكريس دور هؤلاء المبدعين الكبار في مسيرة ثقافات شعوبهم، فإن أبسط أشكال الوفاء، تقتضي منّا الإشارة إلى أن العالم العربي سيحتفل هذا العام بيوم المسرح العالمي في غياب علم كبير من أعلام المسرح العربي، وهو الكاتب سعد الدين وهبة، الذي ترك غيابه ـ كما غياب سعد الله ونوس ـ فراغاً كبيراً في حقل الكتابة المسرحية العربية، وإذا كنا، لاندري بشكلٍ مسبق كيف سيجري (على خشبات المسارح العربية) التذكير بدور وإنجازات هذين المبدعين الكبيرين، فإننا، نرجو أن تتجاوز الإحتفالات الكلمات التكريمية «البروتوكولية» إلى البحث الجاد عن صيغ عملية، دائمة لتحويل أحلام ومشاريع وطموحات هذين المبدعين إلى واقع فعلي، يُترجم على الأرض بممارسات ثقافية نابضة وحيّة. فمثلاً، هل سيجري التداول بين المسرحيين العرب، بشكل جاد للبحث عن صيغ عملية لتحويل مسارحنا العربية إلى «فسحات للتأمّل والحوار» كما كان يحلم سعد الله ونوس؟!

وهل سيجري مثلاً، البحث عن وسائل عملية لمتابعة المشاريع والمؤسسات العديدة التي كان سعد الدين وهبة محرّكها الأساسي، كمشروع «إنشاء مؤسسة عربية تعنى بالدراسات الوحدوية، وتعميق ثقافة الوحدة العربية»؟.

وهل بالإمكان مثلاً، البحث عن صيغ، يتحوّل من خلالها سعد الدين وهبة أو سعد الله ونوس، ككاتب مبدع إلى موضوع دائم للمساءلة المستمرة من الأجيال المتلاحقة والمتعدّدة (كما رأى جابر عصفور، في الحفل التأبيني الذي جرى لوهبة في القاهرة، بمناسبة مرور أربعين يوماً على رحيله).

إننا نرى مع جابر عصفور، أن غياب سعد الدين وهبة كجسد، أو غياب ونوس، أو غيره من المبدعين، لايعني ولايجب أن يعني غياب حضورهم الإبداعي والفكري، الذي يجب أن يتواصل من خلال إعادة تدارس مشروعاتهم الإبداعية والفكرية (ليس من منطلق احتفالي، إنشائي، عاطفي) ولكن من منطلق الدرس الموضوعي، الذي يتغلغل إلى جوهر مشاريعهم الإبداعية، وينبش كافة جوانبها، من حيث علاقتها بزمنها وعلاقتها بالأزمنة الآنية والقادمة.

فهل يتصدّى المثقفون العرب لمثل هذه المهمة؟!

انعكاس الذات في أعمال هرمان هيسّه الروائية

عبد الكريم درويش

هرمان هيسّه كاتب ألماني لمع اسمه في تاريخ الأدب الألماني المعاصر، واتسعت شهرته واجتذبت رواياته الألوف: فترجمت كتبه إلى عدة لغات. حائز على جائزة نوبل سنة ١٩٤٦ بعد أن كرّس حياته ونتاجه الفكري لنشر الدعوة إلى المحبّة والتسامي عن النزوات والأنانيات. ولقد حدت به هذه النزعة الانسانية لأن يترك بلاده إبّان الحرب العالمية الثانية ويلجأ إلى سويسرا ليقيم فيها حتى وفاته ١٩٦٢، ألف هيسّه عدداً كبيراً من الروايات: «الطريق»، ثم تلتها «جرترود»، «روسهالده»، «كنولب»، «دميان»، «سيدارتا»، «ذئب البراري»، «نرسيس وغولدماند»، «الرحلة إلى الشرق»، «لعبة اللؤلؤ والزجاج»...

ولعل أشهر هذه الروايات وأكثرها تعقيداً هي «ذئب البراري» التي تشكل ما يشبه حلقةً أخيرة من ثلاثية تدور حول موضوع واحد: البحث عن الذات. هذه الروايات هي: دميان/ سيدراتا/ ذئب البراري.

دميان: قصة مراهقٍ يخطو خطواته الأولى في الحياة، فيتعثّر ويتردد ويشعر بالضياع بعد أن تختلط في ذهنه المفاهيم والقيم. يثور على الموروث والمألوف، ويقطع صلته بعالم الطفولة الآمن ليبحر في التجربة ويسبر غور المجهول، باحثاً عن حقيقة كاملة شاملة يتمسك بها. يلتقي «سنكلير» وهو الشخصية الأساسية الأولى في الرواية بـ«دميان» وهو الشخصية الأساسية الثانية - على مقاعد الدراسة. فيأخذ «دميان» بيد المراهق التائه ويساعده على اكتشاف طريقه وتحقيق ذاته بعد أن يحرره من تأثير «كرومر» الشاب المتهور الذي يرمز في الرواية إلى قوى الشرّ وإلى السلبية المطلقة.

سيدأرتا: تدور حوادث هذه الرواية في الشرق وبالتحديد في الهند. وسيدارتا شاب يانع مثال للطاعة البنوية، ترعرع في أسرة بوذية عريقة. فوالده كاهن متصوف حاول جاهداً أن يبث في ولده روح التصوف التي تساعده على أن يكمل مسيرة والده. إلاّ أن تعطش سيدارتا للحقيقة حدا به إلى أن يرفض المثال الأبوي ليكتشف بتجربته المنفردة حقيقة خاصة به. فتحرر من الطوق وراح يخوض التجارب. تنسّك مع النسّاك ظناً منه أن الزهد طريق إلى الحقيقة، فخاب ظنه. انغمس من ثم في الحياة المادية آملاً أن يجد فيها معنى لوجوده، ولكن بغير طائل. وتمر السنون ويضيع الصبا ويكاد سيدارتا أن يستسلم لليأس لولا التقاؤه، وقد ناهز الأربعين، ببحار مسنٍ يساعد الناس بقاربه الصغير على اجتيازِ النهر من ضفة إلى ضفة. فيعطيه البحار مفتاح الحقيقة، إذ أنه رمز الطبيعة، رمز الحياة الغنية البسيطة في آنٍ، رمز لتوحد الانسان والعالم.

ذئب البراري: بطل هذه الرواية، هاري هالر، انسان في الخمسين من عمره، فريد مدهش في غربته، فنان قلق تنتابه الهواجس ويعيش مأساة الوجود. لا يتعرف إليه القارىء مباشرة بل من خلال رواية كتبها وعثر عليها الناشر عن طريق الصدفة. تبدأ الرواية بمقدمة يقص لنا فيها الناشر قصته مع البطل، ثم يترك الكلام له إذ يعبّر عن نفسه من خلال رواية كتبها. فنعيش معه أزمة إنسان متوحد يبحث عن معنى لوجوده. وندخل في عالم الغرابة والسحر إذ تدور حوادث القصّة في جوٍ من نسج الخيال. نرانا مدعوين للدخول في متاهات اللاشعور عند البطل نتلمس معاني الرموز وحقائق الأشياء.

يتعرف البطل إلى «هرمين» فتاة المتعة اللاهية العابثة، التي تغرف من ملذات الحياة وتعيش صَخبها. تبدأ معها رحلة هاري خارج سجن المفاهيم الفكرية المجردة التي ارتضاها لنفسه وعاشها كبديل للحياة البسيطة اليومية. فيكتشف مع هرمين متعةً جديدةً، متعة البساطة والعفوية، متعة اللذة الحسية المشبعة. يتعلم معها معنى الفرح. تعرفه إلى صديقتها فتعلمه الرقص وتدخله إلى عالم اللذة الجنسية. يحدث كل شيء وكأن شخصية أخرى للبطل تظهر للوجود، تتكوّن، تتفتّح، تكبر وتنمو. فيعيش الازدواجية، ولكن هرمين تتدخل لتحرره منها فتدعوه إلى «المسرح السحري» حيث يتكشف الحقيقة. وتعطيه مجموعة من أوراقٍ على كل منها رسمٌ يمثل جزءاً من شخصيته المفككة المتحللة وتدعوه لجمعها من جديد، فيكتشف أنه قادر في كل مرة وحسب النظام الذي يرتضيه لترتيب هذه الرسوم، أن يخلق شخصية جديدة واحدة في جوهرها متنوعة في آن، وكأنها أوتار موسيقية يتغيّر نغمها بتغير وقع الأصابع. عندها يعرف معنى وحدة الذات ووحدة الوجود وعندها فقط تدعوه هرمين لأن يقتلها لكي يتخلّص منها إذ لم يعد من معنى لوجودها. فهرمين هي الوجه الآخر لشخصيته، إنها النقيض، ولا مكان للنقيض بعد أن توحدت الذات وانسجمت مع نفسها.

يبدو واضحاً من خلال هذا العرض أن هذه الروايات الثلاث تدور كلها في عالم من الأفكار المجرّدة، فليس هناك حوادث بالمعنى الصحيح للكلمة، فالحوادث داخلية، نفسية، فكرية بحتة. من هنا كانت هذه الروايات نصوصاً أدبية ذات منحى فلسفي. والطابع العام لفلسفة هيسّه هو المثالية، ذلك أنه تأثر تأثراً كبيراً بالصوفية المسيحية وكذلك بالبوذية التي تركت بصماتها واضحة على فكره وأدبه.

إن الشغل الشاغل له كان دوماً البحث عن الذات، معرفة كنهها، وفهم متناقضاتها، والدخول إلى جوهرها والتحاور معها بصدق. من هنا كان يحاول في كل مرة أن يتأمل هذه الذات عن بعد، أن ينفصل عنها بعض الشيء، بعد أن يعيرها لشخصيته الروائية، يتحرر منها إلى حين، يراقبها، يتناولها بالتحليل والدراسة طامحاً على الدوام إلى التصالح معها والتسليم بها. فيكتسي نتاجه هكذا بعداً نفسياً مهماً إذ تصبح الكتابة عنده نوعاً من العلاج النفسي، كما يعبر عن ذلك بوضوح ناشر رواية هاري هالر عندما يقول: [كان من المستحيل بالنسبة لي أن أعرف بالتحديد إلى أي مدى كانت الحوادث حقيقية في مخطوطة هالر، إني لا أشك في أن معظمها من نسج الخيال: ليس لأنها اختلاقات مجانية، ولكن محاولة للخروج من الذات، تأخذ عبرها الحالات النفسية اشكالاً ومظاهر حتى تبدو كأنها حوادث مرئيّة] ص٩. ومن يكون الناشر في الرواية إلاّ الأديب نفسه، المفكر الواعي الذي ينظر إلى هاري هالر وهو هيسّه من نوع آخر، هيسّه الانسان الذي يعيش الحياة، يتألم ويضيع، يتخبّط في متاهات الذات وتناقضاتها باحثاً عن مبدأ

يتخطى به الصراع الداخلي والفكري والوجودي ويصل إلى السلام والسعادة.

إن مجموع شخصيات هيسّه ليس إلاّ صوراً متنوعة لذات الأديب، فالكتابة كانت لديه وسيلة يتحدّى بها هذا الشخص الآخر أو هذه الشخصيات الأخرى الغريبة الكامنة في داخله، هذه الوجوه المتعددة التي تقبع تحت قناع ما نسميه بالشخصية الفردية. يقول هيسّه في مقدمة دِميان: [ولكن قصتي هي بالنسبة لي أكثر أهمية منها عند كل كاتب قصة، لأنها ملك لي بذاتيتي. وهي قصة إنسان عاش الحياة].

وكما عانى هيسّه من الشعور بالوحدة، فإنّ حتمية البحث عن الذات تعرض الشخصية الروائية لتجربة الوحدة، ذلك ان من لا يُصغي إلاّ لصوت أعماقه ولا يَتبع إلاّ طريقه يجد نفسه بالضرورة منقطعاً عن الآخرين، أقلّه في مرحلة أولى. فالشعور بالوحدة هو ضريبة التفرّد والحقيقة. [إن من يبحث عن قدره يفقد النموذج والمثال، يفقد الغالي والعزاء. تلك هي طريقه. إن أناساً مثلك ومثلي / يقول دِميان في حوار مع سنكلير / يعانون الوحدة ولكنهم يجدون تعويضاً خفيفاً في شعورهم بالتميّز والاختلاف]، يتلذذ البطل بوحدته ويتذوق لذّة الدخول إلى مملكة الصمت القائمة في أعماقه، ذلك أنه يجد هناك ما يقول سيدارتا: [ملجأ السلام حيث يحتمي ويقيم وينعم بالرّاحة كما يحلو له]. فالوحدة تعني الحرية يقول هالر: [الوحدة هي استقلال، لقد تمنيتها سنين عديدة قبل أن أمتلكها].

وكما عانى هيّسه الإزدواجية والتمزّق والقلق الوجودي، يعاني أبطال هيّسه صراعاً داخلياً حاداً وتتجاذبهم ميول ونوازع متناقضة، ذلك أن هيسّه قد تأثر بنظرة المسيحية إلى الإنسان ككائن مركّب ثنائي الطبيعة، تناقض النّاسوت واللاّهوت، يسمو بروحه ليتوحد مع الله وينحدر بشهوانيته إلى درك المادة. ذاته مسرح للصراع بين قوى الخير وقوى الشر، بين الروح والجسد.

يرتبط مفهوم البطل عند هيسّه، ارتباطاً وثيقاً بحلم الكاتب الذاتي.

ليس لأبطاله وجود فعلي ولا حياة حقيقية إلاّ من خلال ما يمثلون من امتدادٍ لذاته، لأحلامه وهواجسه، لنوازعه وطموحاته، وسنكلير كما دميان وكرومر، كلهم على طريقته نموذجٌ لذاته الفردية. فسنكلير هو هيسّه المتمرد الثائر الذي يخطو خطواته الأولى مترددة على طريق المعرفة.. وكرومر يمثل القوى الحيوانيّة والنزعة المادية الكامنة في داخله، ودميان هو الفكر الواعي، هو صوت الحكمة. تتصارع هذه الشخصيات فيما بينها كما تتصارع النزعات والرغبات المتعددة في ذات الأديب، ثم تتناغم وتنسجم فيما بينها عندما يدرك سنكلير مبدأها وحقيقتها: إنّ هذه المتناقضات ليست إلاّ أشكالاً مختلفة لطبيعته الواحدة، المتكاملة.

ويخرج هيسّه من ذاته إلى شخصيتي سيدارتا وغوفندا. سيدارتا الباحث عن معنى وجوده، صلب الإرادة لا يثنيه شيء عن عزمه. وغوفندا الذي برغم تعطشه للحقيقة يستهويه الأمان فيقنع بقيم تأتيه من الخارج، ويسلم بها. سيدارتا يرفض أن يبقى خارج لعبة العقائد والمبادىء، غير ملتزم إلاّ بالحياة، وغوفندا يعيش أسير العقيدة التي ارتضاها التزاماً. كل واحد اختار لنفسه طريقاً نحو هدف وحيد: تحقيق الذات والصدق معها، وكل الطرق سليمة إذا أدّت إلى أن يكون الانسان نفسه.

أما في ذئب البراري فتتجزأ ذات الكاتب لتسكن شخصيات ثلاثاً هي ناشر مخطوطة هالر، وهاري هالر، وهرمين. ولعل هذا الشبه بين اسم الفتاة واسم الكاتب، هرمان، ليس مجانياً، إذ تظهر هرمين لهاري في الحفلة التنكرية على شكل شاب يانع يذكره بصديق أيام شبابه الذي يدعى هرمان. والناشر ليس إلاّ هيسّه الواعي الذي يتأمّل ذاته، وهاري هالر هو هذه الذات المتناقضة القلقة المتمزقة بين الروحانية والمادّية، وهرمين هي البساطة والعفوية المطلقة في هذه الذات.

من جهة أخرى، نرى أن أوجه الشّبه كثيرة بين حياة هيسّه وحياة ابطاله. فسنكلير (مثل هيسّه) ابن عائلة بورجوازية، نشأ نشأة محافظة تقليدية متدنية، وهو يتمرّد كما تمرّد هيسّه على والده الكاهن البروتستانتي الذي كان يريد لابنه حياةً كنسية فخاب أمله عندما ترك الشاب المراهق البيت في الخامسة عشرة لينعم بالحرية والاستقلال ويصنع قدره بيديه.

أحب سنكلير المغامرة فحطم القيد العائلي وحلّق بجناحيه بعيداً عن سجن العائلة، ولكنّه رغم تعطشه الشديد للحرية كان يشعر بالحنين إلى البيت، إلى عالم الطمأنينة والأمان، عالم النظام والحماية، هذا الحنين الذي راود الكاتب طيلة حياته والذي تجلّى في أعماله الأدبية من خلال التناقض الذي يقيمه دائماً بين عالمين مختلفين: عالم الطفولة، وما يرادفه من التقليدية والهدوء والأمان، وعالم البلوغ وما يرادفه من الوحدة والقلق والمأساوية. وسيدارتا أيضاً هو هيسّه من نوع آخر، ذلك الذي سافر نحو الشرق بحثاً عن الحقيقة. لقد وُلدت أم الكاتب في الهند التي بقيت صورتها في العائلة رديفة للسحر والأسرار. كان هيسّه يسمع جدّه يردد قصائد هندية مترجمة للالمانية، وكان والده شغوفاً بالفلسفة الهندية التي عكف على قراءتها وملأ مكتبته بمؤلفاتها. وسافر إلى الهند سنة ١٩١٦ فغدا الحلم حقيقة وخاب الأمل: [لقد أضعنا الفردوس منذ زمن طويل، وهذا الفردوس الجديد الذي نحلم به والذي نريد أن نقيمه ليس له وجود على خطوط العرض والطول أو على شواطئ بحار الشرق الدافئة، إنه في داخلنا][١]. [ليس الشرق بقعة ولا مدلولاً جغرافياً، إنه أولاً وطن شباب الروح، إنه كل المكان واللاّمكان، انه في توحد الأزمنة كلها][٢].

وهاري هالر هو هيسّه الكاتب والانسان، يغامر بحياته في الكتابة ويعيش معاناة دائمة، ينفصل هالر عن زوجته ويعاني آلام الوحدة القاسية التي عاشها هيسّه (الانسان) عندما فشل زواجه، فيلجأ إلى الخمر للخروج من الأزمة. يقيم هالر في غرفة يصفها هيسّه بكل تفاصيلها وكأنها غرفته الشخصية: [منظر طبيعي لوسط ألمانيا، صورٌ لمدينة ألمانية صغيرة هي في غالب الظن موطن هالر، مائيّات ذات ألوانٍ مضيئة، عرفنا فيما بعد أنها من رسمه، صورةٌ لامرأة شابة جميلة أو لفتاة، كان هناك أيضاً لفترة ما تمثالٌ لبوذا السيامي، شغل مكانه فيما بعد نسخة عن لوحة الليل لميكال آنج ثم رسمٌ للمهاتما غاندي. كانت الكتب تملأ المكتبة، وتتبعثر على الطاولات والكراسي والديوان وارض الغرفة الخشبية... كان يمكن أن يكون الرجل الذي يسكن هذه الغرفة عالماً... ولكن قسماً كبيراً من هذه المؤلفات لم يكن من الكتب العلمية، كان معظمها أعمالاً لشعراء من كل الأزمنة ومن كل الشعوب]ص١٢٣.

ليكن الإنسان ذاته، وليسع إلى تحقيق هذه الذات، عند ذلك يسمو ويرتفع إلى مصّاف الآلهة، ففي كل نفس منا جذوة من الروح / الأصل، من النور الالهي الأسمى.

هكذا نذر البطل نفسه عند هيسّه للبحث عن الحقيقة والاتصال بها والتواصل معها خارج أطر النظريات الضيّقة والمفاهيم الثابتة لأن الباحث الحقيقي الذي يرغب فعلاً أن يجد الحقيقة، لا يلتزم بأية عقيدة، أما من وجد الحقيقة فيمكنه على العكس أن يقبل بكل العقائد وبكل الأساليب، فلا يفصله شيء عن آلاف العقائد الأخرى النابعة كلها من الحقيقة الأصلية الواحدة والمشبعة كلها بالألوهة. وحياة الانسان هي طريقه نحو ذاته، بل هي مشروع طريق، فما من أحد توصّل إلى أن يكون نفسه بصورة كاملة ولكن كل واحد يتوق لأن يصبح ذاته، البعض يسعى إلى ذلك في الظلام والآخر في النور. لكلٍ أن يسلك طريقه، وعليه أن يحترم حلم الآخر الذي يتوق أن يتحقق.

هكذا يتضح أنّ النزعة المثالية في فكر هيسّه تلتقي مع النزعة الإنسانية لتؤكد على ثقة كبيرة بالانسان الواعي لذاته السّاعي دائماً إلى التسامي بها وإلى بلورتها لتعود إلى نقاوتها الأولى وطراوتها البدئية وإيمانها الجلي... هكذا يتوحد الكل مع الجزء في فيض من المحبة ■■

---

(١) (٢) مذكرات هيرمان هيسه، منشورات دار الآداب، بيروت ١٩٩٤ ص٢٦.

مفهوم الرمز الديناميكي وتجليه في الشعر الفلسطيني الحديث

حلقة (٤)

(محمود درويش في الشعر الفلسطيني نموذجاً)

محمد جمال باروت*

انشغل محمود درويش بعد خروجه من الأرض المحتلة ١٩٧١ بالرموز الديناميكية التكوينية التي تختلف كلياً عن الرموز الستاتيكية التعبيرية ويفسّر ذلك العمق الأصلي لهذه الرموز، أي عمق امتصاصها وتحويلها لما يسمّى بلغة يونغ بالأنماط الأصلية الهاجعة في اللاشعور الجمعي. ومن هنا تميزت رموزه الديناميكية التكوينية التي تلتقي نواتها التوليدية برمتها حول رمز الأرض، بفعالية وظائفها الإرجاعية أي فعالية قدرتها وقابليتها على التذكير برموز غيرها، تغدو في عملية القراءة نتاج الهوية الديناميكية المفتوحة للرمز. الذي هو بؤرة امتصاص وتحويل لشبكة من الرموز الأصلية الجمعية، تشكل نوعاً من «أسطورة تكوين فلسطينية»، و «توراة» فلسطينية للجذور في «الدياسبورة» الفلسطينية وآلام شتاتها. ولعل ذلك ما يفسر فلسطنة محمود درويش لهذه الأنماط الأصلية وقد تم امتصاصها وتحويلها إلى رموز ديناميكية تكوينية درويشية، بقدر ما يفسّر كنعنته لفلسطين، فهو مسكون بهاجس أن يكون شاعر قومه من بدئهم إلى راهنهم بكليتهم. فنجد في شعره حركة مزدوجة، يتجه طرفها الأول صوب الجذور حيث كنعان القديم ويتجه طرفها الأخر صوب الحاضر حيث الفلسطيني، والوظيفة الدلالية لرموزه الديناميكية هي على وجه الضبط الإنتاج الشعري السيميائي أو الرمزي لهذه الإستمرارية من كنعان القديم إلى الفلسطيني المعاصر.

بهذا المعنى نحن إزاء «تتريث» للهوية الفلسطينية المعاصرة يجعل لها جذوراً ضاربة في بدء الكون بقدر ما نحن إزاء «تحيين» أو «ترهين» لميراثها الكنعاني. وتتم عمليتا «التتريث» و «التحيين» وفق طبيعة الرمز الديناميكي ووظائفه وأدواته. ذلك أن الأساس في الرمز الديناميكي هو الروح أي الحركة الخالقة. من هنا كانت قصيدته ضرباً خاصاً من الرؤيا، تهيئ الشاعر ـ النبي التكوينية لروح قومه. وكل قصيدة ـ رؤيا تنطوي بالضرورة على حلم ولايمكن للغة الحلم إلا أن تكون لغة رموز أو حدوس، تحطّم المفهوم التقليدي المحاكاتي لـ «المعنى» وتتجاوزه إلى الدلالة التي تتميز اساساً بطابعها المفتوح.

وإذا كنا في رموزه التقليدية المحاكاتية في شعره ما قبل خروجه من الأرض المحتلة، حيث المواجهة ساخنة وتستدعي التعبير التحريضي المباشر، نجد أنفسنا إزاء شعر تعبيري، فإننا في رموزه التوليدية التكوينية بعد هذا الخروج، حيث التجربة أعقد واضطراراتها أكثر تركيباً، نجد أنفسنا إزاء شعر تكويني يشكّل الرمز الديناميكي بلغته المولّدة والخالقة.

وبكلام أوضح كان درويش في رموزه المحاكاتية التقليدية يعبّر عن إرادة شعب، في حين أنه في رموزه الديناميكية ينتج روح قومه، ويهيئ شعره لأن يكون ملحمة هذه الروح، من أولها إلى آخرها، فهناك إرادة ملحمية توجّه اختبار درويش للرموز الديناميكية وانتاجه لها. ذلك تنبيره النشيدي الملحمي الجماعي كما في قصيدته المدهشة «مأساة النرجس». ملهاة الفضة. فيبني درويش عوالم «ملائكية» و «نرجسية» و «كهانية» للذات الجماعية الفلسطينية، وإذا كنا نعرف أن هذه العوالم ميتافيزيائية صرفة، فإن هذا لايتناقض مع معرفتنا بان درويش ينقلها من مدار «الفرد» إلى مدار «القوم» فالفعل الملائكي النرجسي الكهاني الجماعي هو اساس الوظائف الإرجاعية لرموزه في هذه القصيدة، وقد أراد درويش من هذه القصيدة أن تكون ملحمة، لقد جعلها قابلة حتى لاختزان طبائع وعادات شعبه من بامياء وثوم وبصل معلق في السقوف، وأدخل في قصيدة رؤيوية صرفة كثيراً من التفاصيل المرجعية الحياتية.

فيملحم (اشتقاقاً من ملحمة) محمود درويش شعبه، ويجعله تجلّياً بطولياً ملحمياً لأسطورة عودة ابدية، ففي علاقات «المعنى» بالمدلول الصوفي الإلهي مع «الإسم» أو «الصورة» لايكون شعبه سوى اسم أو صورة من أسماء وصور تجلّيات المعنى. في هذه القصيدة يتجلّى المعنى في صورة ملحمية بطولية تكون فيها الذات الجماعية الفلسطينية في فعل عودتها أداة لا واعية في يد القدر أي «المعنى» أي «الله» أي فلسطين المؤلهة، وتكون العودة تجلّياً للقدر الفلسطيني.

فعل العودة هو على مستوى البنية الرمزية الديناميكية، فعل استعادة لجوهر بدئي. لمعاد أبدي فلسطيني منذ البدء الكنعاني الأول وحتى الراهن. وبوصفه فعلاً فإنه براكسيس إلا أنه شعرياً وفي آلية البنية الرمزية الديناميكية لايظهر إلا كبراكسيس حدسي أو ميتافيزيائي، فيختلط البراكسيس بالأسطورة، ويصبح نفسه تجلّياً غامضاً وسرّياً لماهيتها.

تبعاً لذلك يكتسب رمز «العودة» أبعاداً ملحمية من نوع الأبعاد الملحمية الداخلية التي يضيئها ما نسميه بالملحمة الداخلية الحديثة تمييزاً لها عن الملحمة الكلاسيكية. لاشك أن المشترك ما بين الملحمتين، هو كلية الأهداف الوطنية التي تروى على شكل بطولات معجزة، فـ «البطل» في القصيدة هو نجم يشير الجماعة صوب طفولتها، أي صوب بدئها الأول، كلية أهدافها هو استعادة لهذا البدء، وإنجاز لوعده. ومن هنا تتخذ «العودة» في القصيدة شكل حركة «صعود» فيتواتر فعل «الصعود» في القصيدة يكتسب كل صعود طابعاً مقدّساً ينتج عن توجهه إلى ما هو أعلى منه وتكون الأرض ـ فلسطين بما تعنيه من رمز ديناميكي هي الجوهر المقدّس الذي تصعد إليه الذات الجماعية في حركية «العودة» الملحمية المستمرة أبداً رغم كل الغزوات والفاتحين، الذين لم يستطيعوا وفق النظام الدلالي الدرويشي تغيير الأرض، التي تورث كاللغة المنقوشة كقدر سرّي إلهي في روح الذات الجماعية يوجهها كلية أهدافه: كلية العودة إلى فلسطين.

وتفسّر هذه الأبعاد الملحمية للرمز الديناميكي البعد الملحمي الرؤيوي في رمز «الهدهد» في قصيدة «الهدهد». فـ «الهدهد» الدرويشي هو امتصاص وتحويل لـ «الهدهد» القرآني، حيث ينهض في البنية الرمزية الديناميكية للقصيدة كمرآة رؤيوية جماعية، تقرأ الجماعة فيها الآتي وتستبصره. فما يهم في الأثر الدلالي لـ «الهدهد» الدرويشي هو تلازم هذا الأثر مع تحدي الفلسطينيين الملحمي والبطولي للاقدار الغاشمة ومواجهتهم لها. وهنا يتجلى السياق الملحمي لـ «الهدهد».

إن ديناميكية هذا الرمز تصدر عن انفتاح دلالته الضمنية على مجموعة هائلة من الرموز الفرعية والأساسية. التي يمتصها في حركته الخالقة للكون الشعري، فتكون فيه أمام ملحمة شعرية داخلية لـ الذات الكلية منذ بدء التاريخ وعبره. فتتواتر الإشارات المرجعية التاريخية، من الماضي السحيق إلى الحاضر، ويكون الفلسطيني المعاصر ابن بدئه الأول الضارب في بدء الكون والخليقة.

الهدهد الدرويشي بهذا المعنى رمز ديناميكي نموذجي، يتميز بخصائص «التكثيف» (ضم رموز عديدة في رمز واحد) و «الإزاحة» (يصب المغزى الكامن في الكل) و «المبالغة في التعيين» (عدة مغاز مختلفة تماماً تركّز على عنصر واحد بحيث يحمل أكثر من دلالة). ومن هنا فإنه رمز رؤيوي خالص، ذلك أن الهدهد ليس سوى مرآة رؤيوية وكشفية. وبوصفه رمزاً رؤيوياً فإن خصائصه الديناميكية الموصوفة أعلاه توحّد اللغة الرمزية الشعرية بلغة الحلم. يأخذ هذا التوحيد تميّزاً خاصاً هو التميّز الصوفي. وبمعنى آخر فإن سياق اللغة الرمزية الحلمية لهذا الرمز الديناميكي هو سياق «صوفي» مشرقي، ذو منابع أفلوطينية محدثة، تمتصها اللغة الدرويشية وتحوّلها.

أنا هدهد ـ قال الدليل ـ سأهتدي للنبع إن جف النبات.

قلنا له: لسنا طيوراً، قال: لن تصلوا إليه، الكل له والكل فيه، وهو في الكل، ابحثوا عنه لكي تجدوه

فيه، فهو فيه......

يا هدهد الأسرار، جاهد كي نشاهد في الحبيب حبيبنا

هي، رحلة أبدية للبحث عن صفة الذي ليست له صفة، هو الموصوف خارج وصفنا وصفاته....

لاتنتهي طرقي إلى أبوابها... طارت أناي «فلا أنا إلاّ أنا...»

ماذا ترى... ماذا ترى في صورة الظل البعيدة؟

ـظل صورته علينا فلنحلّق كي نراه، فلا هو / إلاّ هو...

فسياق هذه اللغة صوفي بحت يعيد درويش امتصاصه وانتاجه من جديد. وهذا السياق هو وحده ما يفسّر تواتر كلمة «المعنى» في القصيدة. فليس «المعنى» ما نفهمه قاموسياً من كلمة «المعنى» بل ما نفهمه صوفياً. إنه «الله» أو «المطلق» الواحد في الكثير والكثير في الواحد، المنزّه عن الأوصاف، والمتعالي عليها، اي قوّة الخلق الكونية السارية في الوجود برمته.

يكون «النبع» في القصيدة أحد تواردات أو استبدالات «المعنى» بالمفهوم السياقي الصوفي له، فتكون العودة إلى «النبع» عودة كشفية رؤيوية إلى «المطلق» نفسه وتتواتر الدلالات التواردية أو الإستبدالية لـ «النبع» في قصيدة «البئر». حيث يتولّد الإشعاع الدلالي لرمز «البئر» هنا من ديناميكية «تكثيف» رموز عديدة فيه و «تعين» هذه الرموز المكثفة فيه وإزاحتها». فـ«البئر» بالمعنى القاموسي، وهو جزء من مقوّمات البيت الفلسطيني التقليدي والبيت الشرقي عموماً، هو «الجب» الذي يتم نهل الماء منه بالدلاء من فم ما يسمى بـ «الخرزة»، حيث يحيل درويش إلى هذا العنصر الصريح من معنى «البئر» بقدر ما يتخطاه إلى دلالته الضمنية أو الشعرية، فهذا المكان المتناهي في الصغر هو بلغة باشلارية عالم متناه في الكبر، وبلغة النظرية الرمزية هذا المحسوس يحتوي على عوالم رمزية حدسية وروحية فسيحة ولا محدودة.

إذن فالبئر هنا هي البئر الأولية للذات. إنها في قصيدة درويش «البئر القديمة» الممتلئة سماء والتي تفيض عن المعنى.

أختار يوماً غائماً لأمر بالبئر القديمة

ربما امتلأت سماء، ربما فاضت عن المعنى وعن أمثولة الراعي

فليس «المعنى» هنا سوى الدلالة الصوفية لـ «المطلق» أو «الله» كما رأينا تماماً في قصيدة «الهدهد»، ومن هنا يسمع درويش وحشة الأسلاف بين الميم والواو. إن صورة «اسمع وحشة الأسلاف بين الميم والواو هي بحد ذاتها صورة شعرية رمزية ديناميكية تعتمد منهج «المطابقات»الرمزي، وهي بارتباطها بلغة كهانية صوفية «بين الميم والواو» تستكمل طابعها الميتافيزيقي والأسراري والباطني. فتتكثف في رمز «البئر» الدرويشي هنا دلالات «المطلق» وتواردات القصة القرآنية لـ «يوسف» المرمي في الجب، و «جلجامش» وروح «الأسلاف»، ولغة الكهانة الإعجازية والأسرارية والميتافيزيقية والأم تلد الشاعر قرب البئر وتنصرف إلى تعويذتها، قاذفة بابنها في العالم يصنع ما يشاء، مثل الإله الذي يخلق كل شيء ويقذفه في الوجود.

داخل هذه الخصائص «التكثيفية» و «الإزاحية» و «التعيينية» للهوية الدلالية الديناميكية لرمز «البئر» تصبح «البئر» استبدالاً من نوع نمطي أصلي للأرض الفلسطينية الكنعانية، التي يشير إليها درويش مرجعياً بالأرض المحصورة بين أضلاع المثلث: مصر سوريا وبابل أي أرض فلسطين:

سأعود حياً، بعد ساعات، من البئر التي
لم ألق فيها يوسفاً أو خوف إخوته
من الأصداء، كن حذراً، هنا وضعتك
أمك قرب باب البئر، وانصرفت إلى تعويذة
فاصنع بنفسك ما تشاء، صنعت وحدي ما
أشاء. كبرت ليلاً في الحكاية بين أضلاع
المثلث: مصر، سوريا، وبابل.

وعبر توارد «جلجامش» وما يثيره من أثر دلالي مفتوح، تنبثق في القصيدة صورة رمزية رؤيوية ديناميكية تولد أثراً بخلود «البئر» وتجدّدها الذاتي.

اقترب... لأعود من هذا
الفراغ إليك يا جلجامش الأبدي في اسمك...
كن أخي، واذهب معي لتصيح بالبئر
القديمة... ربما امتلأت كأنثى بالسماء
وربما فاضت عن المعنى وعمّا سوف
يحدث في انتظار ولادتي من بئري الأولى.
سنشرب حفنة من مائها.

فامتلا البئر «كأنثى بالسماء» و «فيضانها بالمعنى» كـ «بئر أولي» أي كـ «نمط أصلي» يستدعي دلالات الإمتلاء الكوني الجنسي للأرض (القوة الإلهية الكونية المؤنثة في صورتها العشتارية أو العناتية الكنعانية) بالسماء (القوة الإلهية الكونية المذكّرة في صورتها التموزية أو البعلية) وهي هنا صورة بعلية «تبعاً لخصائص البعل الكنعاني»، واعتماد «البئر» في امتلائها على «ماء السماء».

نستخلص من ذلك طبيعة ووظيفة وأدوات الرمز الديناميكي في شعر محمود درويش الذي تميّز بين سائر الشعراء الفلسطينيين المعاصرين باختباره منظومياً واكتناه آلية الخلق الكامنة فيه التي تتخطى آلية التعبير. وقد استوعب درويش في ضوء اختباره المنظومي لهذا الرمز في بنية شعرية رؤيوية حلمية المفهوم الرمزي لـ «الرمز»، بقدر ما تخطاه بشكل يكون فيه «الرمز» دالاً مفتوحاً على أنماط اصلية أو أولية هاجعة في اللاشعور الجمعي الفلسطيني، وإذا كانت الخصائص القومية أو الوطنية لهذا «الرمز» تبدو جلية، فهذا يعود اساساً إلى أن الرموز الديناميكية الدرويشية تخلق نوعاً حديثاً وخاصاً من «كنعانية ذا» فلسطينية، أي نوعاً من رؤيا ملحمية بطولية فلسطينية، تضيء وفق قانونياتها الديناميكية، التي هي قانونيات «تكثيف» و «إزاحة» و «تعين» لدلالات مفتوحة في الرمز الواحد نفسه، كفاح الشعب الفلسطيني، واستعادته لهويته، وتشبثه بأرضه، وسعيه المأساوي والحالم والمكافح للسيطرة على مصيره وتقريره، وليس محمود درويش هنا سوى شاعر رؤيوي ملحمي لهذه التجربة المكافحة، لشعب باسل يعود اليوم بفعل تضحياته ومعاناته وكفاحه إلى التاريخ ■■

نعتذر عن نشر الهوامش لضيق المجال.

درويشنا الجميل... انتظر نحتاج لتسعفنا مرة أخرى...

للخبر وقع الفاجعة. عاد قلبك ليؤلمك مرة أخرى، فتألمت قلوبنا أيضاً، ولحركة مبضع الجراح أثرها في قلوبنا كما قلبك، الذي نشكره على الصمود مرة أخرى.

لاتكفي الأماني كلها لتدل على حرصنا الكبير على قلبك الصغير، فقد كانت مهنة هذا القلب ومازالت الدفاع عن الجميل عن الكرامة، كرامتنا المهدورة كل يوم. لقد شيدت من القصائد منازل لنا نحن المنفيين، بدلاً من المنازل التي هناك ومُنعنا عنها. فنحن الذين ولدنا بعيداً عن البلاد، ولا أقول خارجها، كما علمتنا أن نقول الكثير من الأشياء الدقيقة التي كانت تربكنا، كسبنا أوطاناً من ذاكرة الأمهات ومن القصائد التي شيدت منازل جميلة سكنها شعب كاد المنفى أن يسحقه.

نحتاجك للدفاع عن انسانية الإنسان فينا، وعن حقنا الذي نستحقه في هذه الحياة، لنعيد تأكيد البديهيات التي ينساها الآخرون عندما تخصنا، يتذكرونها تماماً عندما تخصهم.

أني منحاز إلى ما يداعب روحي، ففي قصائدك ما تقوله عنا، ما نريد أن نقوله ولا نستطيع فتقوله بأبلغ الكلمات وأجمل الصور، تقول ما في روحنا من أوجاع، ترسم جماليات أوجاعنا، تقول روح المأساة باستعارات كاملة.

لايمكن الكتابة عن أجمل الأشعار بلغة شاعرية، فمهما حلقت الكتابة، تبقى المسافة شاسعة بينها وبين سماء الشاعر الصافية.

أنت صانع الجمال الأبرز الذي نملكه، وكان عمق تجربتنا الإنسانية تستحق هذا الشعر المدهش والعظيم. هذه التجربة التي تنساب في ثنايا الشعر الذي يجسدها ويتجاوزها في آن. لينتج مصنع الشاعر أجمل الأشعار. يختصرنا لكلمات ساحرة تحفر في النفس عميقاً، تحزننا حيناً، تفرحنا حيناً، وتضحكنا آخر. ولكنها في جميع الحالات تثبت لنا من جديد أن لنا روحاً تخفق في صدورنا كدنا ننساها. تاتي الكلمات/ كلماتك لتقول أن هذه الروح لم تمت بعد داخلنا، يوقظ الكلام بقايانا المكسرة، نلملم أشلاءنا المتبقية لتساعدنا على الصمود مرة أخرى في وجه العسف والإنسحاق الذي نقع تحته.

يقول الشاعر ما يريده، ولكنه يقول ما في أعماقنا في ذات الوقت وما نرغب في قوله لكن الكلمات تستعصي علينا فيسعفنا في مآزقنا.

نحن نحتاج لتسعفنا في الكثير من المرات القادمة فانتظر.

سمير الزبن

ندوة دولية عن ابن رشد بمناسبة ٨٠٠ عام على وفاته

لماذا لم تنتصر العقلانية على الخرافة والأسطورة والتعصب

إعداد أحمد الخليل

عقدت في دمشق بين السابع والعاشر من شهر شباط الجاري الندوة الدولية حول الفيلسوف العربي - الإسلامي ابن رشد بمناسبة مرور ثمانمائة عام على وفاته، جرت نشاطات الندوة في القاعة الشامية بالمتحف الوطني بدمشق، نظمت الندوة السفارة الإسبانية والسفارة الموريتانية بالتعاون مع كلية الآداب جامعة دمشق.

شملت الندوة عدة محاور تناولت مختلف المجالات التي اهتم بها فيلسوفنا العربي، كالفلسفة وهو مجاله الأساسي والفلك والعلوم والطب والسياسة.

الندوة جاءت في مرحلة حرجة من تاريخنا العربي والإسلامي، حيث التحدي الذي يواجهنا في عصر العولمة وثورة الإتصالات، لذا كان من الواجب ايقاظ تراثنا الفكري والعلمي من سباته الذي طال، لنقف من جديد على ارض صلبة مبنية على التقنية والعقلانية حتى يكون لنا مكان تحت الشمس في ظل هذا الإهتزاز الكوني والعالمي، والسؤال الآن:

لماذا ابن رشد بالذات وليس غيره؟

نتلمس الإجابة من خلال هذا العرض الموجز لمحاور الندوة:

المحور الأول تناول فلسفة ابن رشد وعصره الذي عاش فيه:

افتتحت الندوة بورقة الدكتور محمد محفل أستاذ التاريخ في جامعة دمشق حيث تطرق د. محفل في محاضرته التي عنونها «مدخل تاريخي لعصر ابن رشد» إلى استعراض واسع ودقيق للمصادر التاريخية «عربية وغربية» التي تحدثت عن عصر ما قبل ابن رشد وما بعده، وقدم الدكتور محفل فَهْرسَة شاملة لأسماء الكتب والمراجع والوثائق التي تضمنت مختلف أحوال تلك الفترة من تاريخ الفتح الإسلامي للاندلس وأثناء وجود العرب هناك، بعدها انتقل محفل إلى عصر ابن رشد في الأندلس وتطرق لفترة حكم «المرابطون والموحدون» حيث عاش ابن رشد.

الورقة الثانية قدمها الدكتور محمود الخضرا استاذ في قسم الفلسفة - جامعة دمشق، وكان عنوانها «عصر ابن رشد ومشروعية التأويل». تناول الدكتور الخضرا في محاضرته الظروف التي عاشها ابن رشد.

حيث تكلم عن دولة «المرابطون» وقال لقد ساد المذهب المالكي فيها، المذهب الذي تشدد في علم الفروع على حساب علم الأصول، لذلك أقفل باب الإجتهاد وتقيدت حرية الفكر والحوار، أما في عصر «الموحدون» فقد سعى هؤلاء إلى تجديد العقيدة وبناء دولة تتيح حرية الفكر، ففتحوا الباب على مصراعيه للفلاسفة ورجال الدين المتنورين، كما سعوا إلى اصلاح التعليم وتأسيسه على العقل والنقد واسندت هذه المهمة آنذاك إلى الفيلسوف الشاب ابن رشد كما كُلف بمهمة شرح كتب أرسطو ليفيد منها الدارسون.

أدرك ابن رشد، قال الدكتور خضرا، إن الإسلام يحتاج لفهم عقلي ويجب زرع العقل والفلسفة في المجتمع رغم معارضة هذا المجتمع لذلك وبرهن ابن رشد من خلال محاولة تأويل النص الديني المقدس أن:

أ- لاتعارض بين الشريعة والحكمة

ب - هناك أساس ينبغي أن يتوحد عليه المسلمون وهو «وحدة الحقيقة» في الوحي والعقل.

وأضاف الخضرا: لقد رفض ابن رشد كل أنواع التعصب لأنه يؤدي إلى اغلاق باب الإجتهاد والحرية والإنفتاح على الآخر، وآمن فيلسوفنا بوحدة العقل البشري وبالتالي وحدة الحقيقة، واستنتج الخضرا أن ابن رشد كان على وشك القول بفصل الدين عن الدولة، أما مبادئ التأويل عند ابن رشد حسب فهم الخضرا كانت:

١- إذا فُهم النص الديني على ظاهره أو أوّل تأويلاً صحيحاً فلا يناقض العقل.

٢- النص الديني يفسر بعضه بعضاً.

٣- فرّق ابن رشد بين ما يجب تاويله وما يحرم تاويله كما في الإيمان بالله والأنبياء ويوم البعث.

كما عرج الدكتور الخضرا على تاثير ابن رشد الكبير على أوربا المسيحية حتى عصر النهضة وإفادة مجتمعاتها من أفكاره.

وفي نهاية ورقته تساءل الدكتور الخضرا قائلاً:

لماذا لم ينتصر ابن رشد في محيطه العربي الإسلامي الخاص على الخرافة والأسطورة والتعصب والهلوسة وأنواع الهذيان؟ أمتنع عن الإجابة وأتركها للجميع.

محاضرتنا الثالثة كانت مع الدكتور نايف بلوز الأستاذ في جامعة دمشق قسم الفلسفة، حملت محاضرته عنوان «ابن رشد بين الإيديولوجية والعقلانية حيث حلل بلوز آراء ابن رشد في كتابه جوامع سياسة أفلاطون وأثره في المسيحية الغربية ممثلة في التعارض بين توما الإكويني والفلسفة الرشدية». واكد الدكتور بلوز على الحاجة الراهنة إلى فكر ابن رشد وأمثاله من المفكرين العرب - الإسلاميين لكي يتم تجديد الفكر وتجاوز العجز والتمزق والتخلف لذلك الحوار مع فلسفة ابن رشد تاخذ اهميتها من كونها فلسفة واجهت التزمت والجمود وتضمنت رؤية متطورة وحضارية مؤسسة على الثقافة ومعطيات الحياة المختلفة الإجتماعية والإقتصادية.

ثم تناول الباحث بلوز عقلانية ابن رشد وتفسيره ارسطو ونقله إلى الثقافة العربية، كما تحدث بلوز عن جدال ابن رشد مع الفلسفة الغزاليه حيث أنهم تاهوا في تفسيرهم للنص والشريعة وخلص الباحث في ورقته إلى أن الفقيه والفيلسوف ابن رشد قد فتح آفاقاً جديدة لم تعرف من قبل للعقل العربي من خلال طرقه في التأويل واعتماده على العقل والنقد وهذا الشيء كان سلاحاً فعالاً بيد الغربيين وأحسنوا الإفادة منه عكس ما فعلنا نحن.

أما الدكتور يوسف سلامة تناول في محاضرته «مفهوم السلطة عند ابن رشد» فقال:

عاش ابن رشد في عصر تحالفت فيه سلطة السياسة وسلطة الفقه وسلطة العامة ضد البحث العقلي الحر واعتُبرت الفلسفة نشاطاً غير مشروع وخطراً يتهدد الشريعة والعقيدة من ناحية وفوق ذلك سلطة السياسي وابن رشد أدرك ذلك ووعى أن ليس للحكمة دور بارز في المجتمع الذي يحيا فيه. وكان ابن رشد كسائر الفلاسفة في الثقافة العربية على ادراك بالدور السلبي الذي لعبته العامة للحيلولة دون تأصيل الثقافة العقلية الحرة ودون ترسيخ البحث الفلسفي النظري النزيه، لذلك اتخذ موقف الفلاسفة العرب نفسه من العامة في عصر سيادة علم الكلام وسيادة رجال الدين والفقهاء والساسة وهو «الاحتقار» وأراد من ذلك الموقف عدم اتاحة التأويل وقصره على فئة معينة من الناس هم اصحاب النظر الفلسفي والبرهاني تجنباً لغضب الجمهور، وأضاف الدكتور سلامة أن ابن رشد يتطلع بصورة خفية إلى اقامة دولة العقل وهي الدولة التي تكون فيها السلطة للفيلسوف وتكون الحكمة هي دستور هذه الدولة، ووصل سلامة إلى نتيجة مفادها إلى انه لايوجد فارق بين قيمة عقلانية ابن رشد وقيمة الإيمان الديني الإسلامي ما دام الطرفان منتهيين إلى النتيجة نفسها وهي عدم مشاركة العامة في شؤون الحكم وتوجيه الحياة الإجتماعية.

محاضرة الدكتور يوسف سلامة أثارت انتقادات كثيرة ولغطاً في القاعة بين الحضور والمشاركين.

عنوان محاضرة الدكتور أحمد برقاوي رئيس شعبة الفلسفة في جامعة دمشق كان «ضرورة الفلسفة عند ابن رشد» وتساءل برقاوي في بداية محاضرته عن الحافز الذي يدفع إلى استعادة ابن رشد من حيث هو يمثل الدعامة العقلية في الفكر الإسلامي هذه الأيام لذلك قدر الفلسفة أن تدافع عن نفسها دائماً وكان الثمن الذي دفعه ابن رشد هو المنفى والكتب المحترقة.

وأكد برقاوي على أن ضرورة الفلسفة عند ابن رشد تأتي من تحديده لما هو خارج الفلسفة واعتماداً

على التأويل في الإسلام فقد تعددت أنواع الخطاب في المجتمع فكان لدينا خطاب الشرع وخطاب الجدل وخطاب السفسطة ثم يأتي الخطاب الفلسفي، والفلسفة لدى ابن رشد حسب برقاوي حاجة ماسة ولاغنى عنها لإختلاف الفيلسوف عن الفقيه والجدلي وأكد برقاوي أن البرهان سبيل العقل إلى الفلسفة لذلك المعرفة الفلسفية هي معرفة عقلية لما هو موجود، ووافق الباحث ابن رشد على تفريقه بين المعرفة الفلسفية وبين اعلاء دور ومكانة العقل في المعرفة وإدراك دور الفلسفة كسؤال تاريخ راهن دائماً وناتج من التفكير الإسلامي ذاته، وأنهى برقاوي محاضرته بالإشارة إلى أن ابن رشد لم يقتصر في أبحاثه على المسائل النظرية وإنما تعداها إلى المسائل الشرعية وبرهن على ذلك من خلال مناقشة ابن رشد في شروحاته على الجمهورية الأفلاطونية وما تناوله ابن رشد من نقد للسلطة السياسية والإجتماعية حيث كان ابن رشد داعية للحرية والعقل ضمن إطار المجتمع في وجوده المعرفي والطبيعي.

«حدود العقل الرشدي» هو عنوان بحث الدكتور حسين حرب أستاذ الفلسفة في الجامعة اللبنانية، لقد قام الدكتور حرب بتقسيم أعمال ابن رشد إلى قسمين الأول: عمل على أعمال الآخرين درساً وتلخيصاً وتفسيراً، شرح المفاهيم الأرسطية وما دار في فلكها وأجاد ابن رشد في ذلك أيما إجادة إضافة إلى بعض مؤلفات أفلاطون وكان له الريادة في تقديم ارسطو الواضح والمفهوم للثقافة العربية والعالمية أما القسم الثاني: فقد بنى ابن رشد فيه مواقف فقهية وفلسفية من مجمل الأمور المطروحة على الساحة الثقافية، مثلاً أفتى ابن رشد أن النظر في الفلسفة المبني على علوم المنطق واجب بالشرع على من كان أهلاً له، ويمكن الإستعانة عليها بما حققه من سبقنا سواء كان مشاركاً لنا في الملّة أوغير مشارك، كما تصدى ابن رشد «يؤكد حرب» إلى محاولات الإعاقة لعملية التوافق بين الشريعة والفلسفة، إن هذا الدفاع الرشدي عن الفلسفة يؤدي إلى التزمت شبيهاً بموقف أعداء الفلسفة، واستخلص الباحث الدكتور حرب الأمور التالية:

أ- حق الفلسفة بالوجود على الساحة الإسلامية.

ب- المطابقة بين الفلسفة والشرع.

ج - لم يأت ابن رشد بمفاهيم فلسفية جديدة لأنه كان عقلاً اتباعياً مؤمناً بنبوة أرسطو الفلسفية.

د- أدان ابن رشد الجديد الذي جاء به الفارابي وابن سينا وتعاطى معهم كمرتدين فلسفياً.

هـ - لم يؤمن بحق الإختلاف وحرية التفكير.

و - لم ينتج فقهاً عملياً وتحريرياً وتغيرياً.

وختم بحثه قائلا: إن ثقافتنا العربية والعالمية مدينةبالكثير لفلسفة ابن رشد الذي يسّر فهم أرسطو خاصة والمشائية عامة.

أما صاحب «مشروع الرؤية الجديدة للفكر العربي» الدكتور طيب تيزيني وأستاذ الفلسفة في جامعة دمشق قدم في الندوة بحثاً مقتضباً بعنوان «ابن رشد في الفكر العربي المعاصر» حيث تناول فيه المراحل التي أتى فيها وعاش الفكر الرشدي في عصرنا الحديث والمعاصر وقسمها إلى مرحلتين الأولى: جسدت الشعلات الأخيرة من النهوض العربي في القرن التاسع عشر ومن ثم أتت تحت عبء النهوض الآخذ بالإنكسار.

المرحلة الثانية منذ ما بعدالحرب العالمية الثانية وتمثل بدايات نهوض أتت تحقق استقلالا بعض الأقطار العربية الوطني.

أما الفترة الراهنة فمنذ السبعينات حتى الآن، تحدث قطعاً نسبياً مع ما سبقها، إنها فترة انهيار الحامل الإجتماعي للثقافة العربية منذ بدايات هذا القرن وهو أي الحامل الإجتماعي «الطبقة الوسطى».

وعرض الدكتور تيزيني نماذج من المفكرين العرب الذين تناولوا ابن رشد مثل فرح أنطون في كتابه «فلسفة ابن رشد» ومحمد عاطف العراقي في «النزعة العقلية عند ابن رشد» والمفكر المغربي محمد عابد الجابري في تأكيده على عدة منطلقات في كتبه وهي:

أ- لاوجود لفلسفة عربية اسلا مية بل هناك فقه.

ب - اللغة العربية حسية ولاتاريخية وغير قادرة على التفلسف.

ج- الحضارة العربية حضارة فقه أما اليونانية فحضارة فلسفة.

د - القول بفلسفة عربية يعني القول بإيديولوجيا عربية قرأت الفلسفة اليونانية.

هـ- مفارقة تلك الفلسفة العربية وعدم وجود حامل اجتماعي لها.

و- فصاحة عربية وعقل يوناني.

ي- لاوحدة في الثقافة العربية.

ويؤكد الجابري حسب تيزيني أن التجربة الأندلسية استثناء باتجاه التقدم والعقلانية.

عميد كلية الآداب بجامعة دمشق د. حامد خليل كان له بحث في هذه الندوة بعنوان «النزعة العقلية عند ابن رشد» حيث تناول في ورقته منهج البحث في الحقيقة عند ابن رشد، وطريقة الوصول إلى الحقيقة لديه تكون بالبرهان او القياس العقلي، والحقيقة وحدها هي التي تتصف باليقين وكل ما عداها من حقائق، إنما يقع في باب الظن وأضاف د. خليل إن ابن رشد لم يكن يقبل أن ينطلق العقل إلا من منطلقه الخاص ولم يؤمن إلا بما يتوصل إليه عبر هذه الطريق وأوضح أنه إذا كان هناك دلائل أو نصوص يُفهم منها غير ذلك فليس ذلك سوى مظلة كان مضطراً إلى الإحتماء بها خوفاً من البطش، كما أكد د. حامد أن ابن رشد حسم وبشكل قاطع مسألة التوفيق بين الشريعة والفلسفة بتقديمه الفلسفة على ا لشريعة.

وبالنسبة لعقلانية فيلسوفنا يؤكد خليل بأن العقلانية عنده تتجلى أكثر ما تتجلى في قانون السببية وإن رفع الأسباب هي رفع للعقل وبذلك عزز ابن رشد مشروعية عقلانيته وجعل تفنيد حججه أمراً متعذراً.

المحور الآخر في الندوة تناول ابن رشد من ناحية اهتمامه بالطب والفلك والعلوم.

د. نشأت حمارنة من الجامعة الأردنية أستاذ طب العيون قال:

إن تاريخ الطب العربي لم يُعط الجهد الذي يستحقه فجميع الدراسات حول هذا الموضوع تقوم بها هيئات ومعاهد استشراقية لذلك نرى فجوات كبيرة في تاريخنا الطبي إلا بعض الإستثناءات نجدها في ألمانيا وأسبانيا حيث استطاع الأطباء في هذين البلدين متابعة تاريخ الطب وابن رشد مثال على ذلك، وأضاف د. حمارنة إلى أن ابن رشد فيلسوف أكثر منه طبيب، لكن هناك ضعفاً في نقل وتحقيق أفكار وابحاث ابن رشد الطبية وركز د. نشأت عل مكانة ابن رشد الطبية كما جاءت في الوثائق والمؤلفات ولقد وصف حمارنة ابن رشد بالفيلسوف المشكك وهذا الشك تسرب إليه من أستاذه «ابن مسرة» ولكن لم يؤخذ هذا الأمر كمعطى نستطيع من خلاله دراسة ابن رشد ولاحظ الباحث أن الطب عند ابن رشد هو نظري فقط ولم يكن عملياً قط.

وشاركت اسبانيا في الندوة من خلال محاضرتين قدم الأولى: د. ميكال فوركادا وكانت بعنوان «ابن رشد في سياق تاريخ العلم في الأندلس»حيث أشار في بحثه إلى أهمية هذاالفيلسوف في الفلسفة لكن بالنسبة إلى العلوم فمشاركته أقل أهمية من الأولى ورغم ذلك كانت مساهماته في كلا الجانبين كبيرة جداً ووصلت إلى قمة التطور في العهد الأندلسي وقال إن ابن رشد العكلي ورث تراثاً يعود إلى أكثر من ثلاثة قرون وهذا ما سمح للاندلسيين باستيعاب علم الفلك اليوناني والإضافة عليه وتطويره وخصوصاً في القرن السادس الهجري، حيث تم في تلك الفترة نقد نظام بطليموس إلى درجة يمكن اعتبارها آنذاك ثورة علمية، وعرض فوركادا عرضاً موسعاً حالة العلوم الطبيعية في عهدي المرابطين والموحدين واعتبر الباحث ابن رشد صلة الوصل بين العلوم والفلسفة.

المحاضرة الثانية قدمها د. رفائيل ارغوليول أستاذ في علم الجمال وعنونها بـ «حوار الثقافات على خطى ابن رشد» تحدث المحاضر فيها عن أهمية ابن رشد في وضع القواعد التي رسمت الشكل الأساسي للمفكر العصري بروحه الحرة وقدرته التفسيرية، فابن رشد اتجه إلى التحليل الشديد الصرامة لفكر أرسطو مما أدى إلى انقلاب نقدي حقيقي في تفسير النصوص الفلسفية القديمة، وأكد د. أرغوليول أن فيلسوفنا درس جمهورية أفلاطون وانتقد فيها التسلط وحكم أقلية النخبة، وأوضح أرغيولول: أن هذه الأوجه المتعددة في تفكير ابن رشد الثورية فكرياً انتقلت بقوة إلى الثقافات الغربية وساهمت في الإنتقال من الإقطاع إلى عصر النهضة في أوربا، فمعرفة أعماله في جامعات الغرب غيرت اتجاه الفلسفة المدرسي بدءاً من توما الإكويني، حتى فلسفة عصر النهضة، وختم د. رفائيل بحثه قائلاً: لقد استطاع القرن العشرون أن يخلصنا من العجرفة والتكبر لماضينا.

أما بعد: خلال استعراضنا لهذه الأبحاث آنفاً هل استطعنا يا ترى أن نصل للإجابة على السؤال الذي طرحناه في البداية؟ وكيف يكون الوفاء لعلمائنا ومفكرينا؟ هل بالتحدث عنهم والإحتفاء بموتهم أم بمواصلة ما بدأوه من علم ومعرفة؟

ربما... الأيام القادمة تحمل الإجابات... على لسان جيلنا هذا أو ربما الجيل القادم ■■

عزف منفرد

صمت

للصمت هناك، رائحة الجريمة. صمت بارد رصاصي، منذر بخطر غامضٍ مخيف لاتدري متى، وكيف يجيءُ. صمت ملغز، تشعر معه أنك وحيدٌ، مفردٌ، أعزل. صمت مشحون يتهدّد روحك، ويبثُّ في جسدكِ قشعريرة رعب قاتل يخيّم بثقله الكابوسي على فضاء المكان.

صمتٌ قاسٍ، ينتهك جسدكَ، ويحطّم ببرودتهِ دفء روحك. صمتٌ يقتل أجمل ما فيك، ويتركك فريسة سهلةً للشك والهواجس والمجهول.

صمتٌ برسم انتظاراتٍ متعددة، لاحتمالات متعدّدة، تبدأ شيئاً فشيئاً في نهش روحكَ، واستفزازك بعشرات الأسئلة المحيّرة التي لاتجد لها إجابات واضحة، أو تفسيرات مقنعة.

صمتٌ بانتظار استدعاء لحفلة تحقيق، أو حفلة تعذيب، آتية بعد لحظات. حفلة تجهل ما هيتها، حجمها، شدّتها، أسلوبها، واشكال منفّذيها.

صمت بانتظار نقلك إلى زنزانة أخرى، أو مهجع آخر، أو معتقلٍ آخر، لتبدأ رحلة جديدة مضنية، تحنُّ معها لتابوتكِ القديم. تحنُّ لعتمته، ورطوبته، أثناء مجاهدتك لتآلفٍ، أو تأقلم جديد مع رطوبة أخرى، وعتمة أخرى، ودهاليز وألغاز أخرى، تختلف عن تلك القديمة، التي فككت إلى حدٍ ما بعض مغاليقها، وبدأت تستوعب بعض أحجياتها.

تعدّدت أمكنة الإعتقال (الخيام، أنصار، الرملة، بئر السبع، عسقلان...) والصمت واحدٌ، بإيحاءاته، وشيفراته، ونذره المشؤومة.

ربما اختلفت حدّته من معتقل إلى آخر، إختلفت من حيث طبيعة الأصوات التي تقطعه بين تارةٍ وأخرى (أصوات الحراس، أوامرهم، تهديداتهم... «نحنحات» السجناء، أو فحيح همسهم، أو صرخات ألمهم... حشرجاتهم) لكن الصمت واحد... هكذا، فجأةً يطبق على المكان، ويقطع السير الروتيني للأشياء، وبثقله الرصاصي المشؤوم يزرع الألم والرعب والموت... والجنون!

علي الكردي

«لاتصالح» في الورشة الإبداعية

القاهرة. خاص بـ «الهدف»:

● تتواكب احتفالية الورشة الإبداعية بالزيتون، في القاهرة بالشاعر الراحل امل دنقل بمناسبة مرور ١٥ عاماً على رحيله، مع التجهيزات الضخمة التي تستعد لها إسرائيل بمناسبة مرور ٥٠ عاماً على إعلان قيام الدولة الصهيونية، لذلك قررت جماعة الورشة أن يكون العنوان المناسب للاحتفالية هو «لاتصالح»... القصيدة الأشهر للشاعر، والتي اصبحت بمثابة «البيان الشعري» تجاه كل ما يحدث على صعيد القضية القومية، وأمام التفريط المخزي الذي نشاهده على بعض المثقفين.

تستمر الإحتفالية لمدة ثلاثة ايام ٢١، ٢٢، ٢٣ مايو (ايار) القادم... سينشد الشعراء قصيدة «لاتصالح» يومياً، وستطبع على بوستر بخط الفنان السوري منير الشعراني، وبالإضافة إلى قراءة اشعار أمل دنقل في الأمسيات المخصصة لذلك، ستكون هناك محاور رئيسية يشارك فيها مجموعة من الباحثين والشعراء تتلخص في: «الشعر بعد أمل دنقل»، «الأبعاد الأيديولوجية في شعرية أمل دنقل»، «شعر أمل دنقل بين الأيديولوجي والتحريضي»، «الأبعاد الإجتماعية في قصيدة أمل دنقل»، «مفهوم الوطن في الشعر»، «الحضور المسؤول في القصيدة السياسية».

سيشارك في الإحتفالية: د. فخري لبيب، د. فتحي أبو العينين، د. سيد البحراوي، صالح سليمان، حسن بيومي، أحمد غريب، عماد أبو صالح، سلوى بكر، منير الشعراني، علاء البربري، ياسر عبد الحافظ، صلاح اللقاني، عبلة الرويني، شعبان يوسف... وآخرون.

وسيرافق الإحتفالية معرض فني لبورتريهات أمل دنقل رسمها فنانون من أصدقائه وغيرهم، وستصدر المقالات والدراسات التي كتبت عن أمل في كتاب كما سيعرض فيلم.

جراحة ناجحة في القلب للشاعر محمود درويش



أُخضع الشاعر الفلسطيني محمود درويش، الأسبوع الماضي لعملية جراحية في القلب، في أحد مشافي باريس، تكلّلت بالنجاح، حيث من المقرّر أن يبقى الشاعر الكبير بعض الوقت في المشفى تحت المراقبة كي يتم الإطمئنان التام على صحته.

وكانت العملية قد قُررت بشكلٍ مفاجئ، بعد تردّد من الأطباء سببه حالة قلب درويش الضعيفة، إلا أن الشاعر حسم الموقف وقرّر إجراء العمل الجراحي الذي شمل توسيع إثنين من شرايين القلب.

وكان درويش قد طلب إبقاء الخبر سرّاً، حيث لم يعلم به إلا عدد قليل من الأقارب والأصدقاء والمقربين.

من المعروف، أن الشاعر قد خضع لعملٍ جراحي مماثل منذ عشر سنواتٍ في باريس أيضاً.

أسرة تحرير «الهدف» تهنئ شاعر فلسطين والعرب بنجاح العملية، وتهنئ عائلة الشاعر وأصدقائه وجميع محبيّه في الوطن العربي والعالم، وتتمنى له الشفاء العاجل.

كأنه بالأمس فقط

● عن دار إلياس العصرية للطباعة والنشر، صدرت مجموعة شعرية جديدة للشاعر المصري شعبان يوسف بعنوان: «كأنه بالأمس فقط»، وهي المجموعة الشعرية الثالثة له بعد «مقعد ثابت في الريح» ١٩٩٣ الصادر عن دار سينا، و «معاودات» ١٩٩٤ عن دار النديم، وللشاعر شعبان كتاب عن «شعراء السبعينات: الجيل والحركة، شهادات»، صادر عن المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٨.



سأسأل نفسي:
لماذا اهاجر كل مساء إليها
وارقص تحت سماء طراوتها....
واغني
سأسأل نفسي:
ايعقل أن يشطح القلب في الأربعين؟
وأعشق ثانية...
ياله من جنون...!
احقاً... اغادر ارضاً...
وأصعد نحو سماء
ادق على باب حكمتها...
وكأني أرتب أوراق عمري
وأقرأها من جديد؟!

رحيل الأديب العربي الفلسطيني د. عبر الرحمن كيالي

توفي في عمان في ٢٣ آذار الجاري الأديب العربي الفلسطيني د.عبد الرحمن كيالي، بعد أن أقعده المرض خلال السنوات القليلة الماضية.

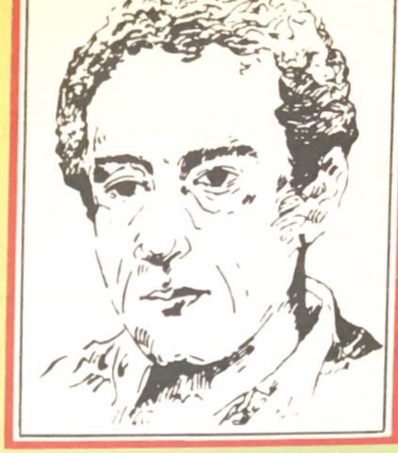
د. كيالي في الثمانينات من عمره، وهو من مواليد الرملة ١٩١٤، وقد تعلّم في مدارسها، ثم أكمل تعليمه الجامعي، في جامعة الأزهر بالقاهرة ونال شهادة الدكتوراه في الأدب العربي.

عمل الراحل قاضياً في المحكمة الشرعية في القدس، في الأربعينات وبعد النكبة عمل في حقل التدريس في عدة أقطار عربية: (الأردن، سوريا، لبنان، العراق، الجزائر).

انخرط في مقتبل شبابه، في إطار الحركة الوطنية الفلسطينية، وعمل في الحقل الثقافي، حيث كان من مؤسّسي رابطة المثقفين العرب التي تأسست في القدس في الأربعينات.

للراحل ديوان شعري عنوانه: «الساحل الوضّاء» وله عدة مؤلفات أدبية أهمها: «الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين» الصادر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر (١٩٧٥) والوافي في تاريخ الأدب العربي.

ناجي العلي على سفر وواقع الحال مقيم



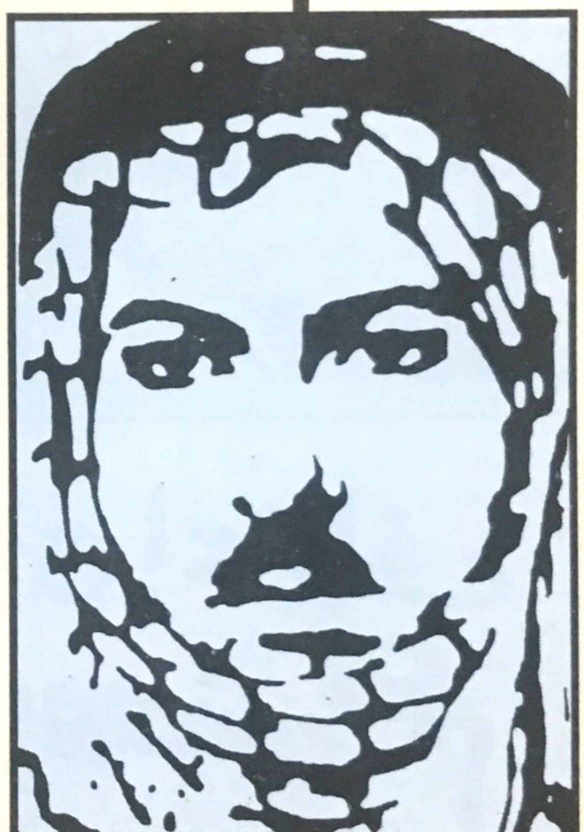




الذكرى العشرون لغياب القائد وديع حداد

مازلنا نكتشف فداحة خسارتنا..

د. ماهر الطاهر



عشرون عاماً مضت على رحيل فارس شجاع أحبه كل المؤمنين بقضايا الحق والعدل وحرية الشعوب.

ففي الثامن والعشرين من آذار عام ١٩٧٨ رحل وديع عن عالمنا بعد مسيرة حافلة بالعطاء والتضحيات ونكران الذات كرّسها لخدمة قضية شعبه وأمته بهدوء وصمت وتواضع وعناد لايعرف الحدود.

ليس الحديث عن وديع حداد في ذكرى رحيله مجرد كلمات وفاء أو تقدير يكتب أو يقال، وإنما تستمد أهميته وقيمته من صحة الرؤية ووضوح الهدف والقيم التي مثلها هذا الرجل في حياته الكفاحية الغنية والثرية التي ستبقى في ذاكرة الأجيال.

اليوم يكون قد مضى على رحيل وديع عشرون عاماً، وطوال تلك الفترة كان وديع الإنسان والثائر المتمرد حاضراً بيننا وفينا دائماً.

كانت ومازالت فترة مليئة بالمتغيرات والمنعطفات وصولاً، الآن إلى مرحلة نوعية جديدة فيها الكثير من التراجع والإنكسار والمعاناة. وفي ذات الوقت فقد برهنت على صوابية ومصداقية رؤية وديع حداد لجوهر الصراع العربي الصهيوني وسبل مواجهته وأدوات التصدي لمخاطره الواسعة.

بصدق المناضل وعمق رؤياه أدرك «ابو هاني» أن اسلوب المواجهة مع المشروع الصهيوني هو الكفاح المستمر والمتصاعد في سبيل خلق حقائق تسهم في إحتواء المشروع وتحجيم خطره تمهيداً للإنتصار عليه.

ربط رؤيته بممارسة عملية ساعياً إلى ترجمة المقولة واقعاً حياً، واستطاع من خلالها إقامة أوسع التحالفات على قاعدة التصدي للإمبريالية والصهيونية.

تمكن خلال عشر سنوات بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧، ومن العمل المتواصل أن يسهم في توهج روح الكفاح وتصعيد المقاومة.

في ذكرى رحيله تتأكد صوابية رؤية وديع حداد وتتجذر أكثر فاكثر في وجدان وعقول الجماهير العربية وهي تشاهد اليوم حجم الخسائر والأضرار الفادحة التي لحقت بالنضال الفلسطيني والعربي بعد أن رضخ البعض للعدو وتنازلوا له عن الأرض والمقدسات وارتضوا لأنفسهم أن يلعبوا دور الحارس لأمنه ومصالحه.

في العدد السابق من مجلة الهدف، وفي حوار مع الروائي العربي الكبير عبد الرحمن منيف قال: أنا أشعر أن وديع حداد رجل غني إلى اقصى حد، ويستحق أن يكتب عنه، ولكن إلى الآن لم يتصد أحد لهذا الموضوع...

نعم إن المطلوب الكتابة الجادة عن أولئك الرموز الذين تفاعلت حياتهم مع محطات أساسية من تاريخنا المعاصر، وكانوا بحكم مواقعهم فاعلين فيها، وأن لانكتفي بكتابة المناسبة.

من حق وديع علينا، وحق أجيالنا القادمة أن نكتب لهم عن تاريخنا القريب جداً كي لايضيع في زمن الضياع.

وديع:

ستبقى في وجدان الشعب وذاكرة الوطن شعلة لاتنطفئ.